ذات خذلان التقيتك

© حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتـــاب: ذات خذلان التقيتك
مراجعة لغوية: رنا أبوالغيط
تـأليـــــــف: د. إهداء محسن كامل
تصميم داخلي: سالم عبدالمعز سواح القـطـــــع: 21X14
النـاشـــــــر: دار الزيات للنشر والتوزيع سنـة النشـر: 2025

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم: 10284 / 2025
الترقيم الدولي (ISBN): 978 - 977 - 844 - 629 - 6

دار الزيات للنشر والتوزيع
المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم/ ٤٩٣٥١

ت: ٠١٠٦٦٧٣٦٧٦٥ - ٠١٠١٥٧٦٦٠١٤ / shahnda71@gmail.com

ISBN 978-977-844-629-6

ذات خذلان التقيتك

رواية

د. إهداء محسن كامل

إهداء

حين تعجز الكلمات عن وصف ما يختلج القلب من مشاعر،

وحين يصبح النبض مرآة لحب لا يحده زمان ولا مكان...

أهديك هذه الرواية التي ولدت من رحم العشق، ونسجت بأنامل الشوق،

لتكون شاهدة على حب لا يهدأ بريقه مهما طال الزمان.

*****

الفصل الأول

ظل العائلة

في تمام الساعة السابعة صباحًا، استيقظت ملك على صوت منبه الهاتف المحمول. فتحت عينيها السوداوين وابتسمت، وقالت وهي تهمس: "لقد كان حلمًا رائعًا".

نهضت مسرعة حتى لا تتأخر على الجامعة، فهي تدرس في العام الأخير بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية. أخذت ملك حمامها وتوجهت إلى دولاب ملابسها واختارت فستانًا مزخرفًا بالورود الرقيقة. ارتدت ملابسها على عجل، ثم خرجت من غرفتها لتضع قبلة على جبين والدتها، التي كانت تنتظرها لتناول وجبة الفطور مع إخوتها مروة وحازم.

فابتسمت إليها والدتها وقالت:

ـ ألن تتناولي فطورك يا جميلتي؟

انشغلت ملك بارتداء حذائها سريعًا وقالت:

ـ أنا في عجلة من أمري يا أمي، دعواتك لي، فأنا في أمس الحاجة لتلك الدعوات هذه الفترة قبل اختبارات نهاية العام الجامعي.

نظرت لها والدتها وأجابتها:

ـ أدعو لكِ بكل خير يا حبيبتي، فأنتِ نور عيني. يكفي تحملكِ المسؤولية بعد وفاة والدكِ، وأنكِ تتحملين تكاليف دراستكِ ونفقات إخوتكِ بدوامكِ بعد انتهاء محاضراتكِ. كان الله معكِ يا ابنتي.

ابتسمت ملك ونظرت لوالدتها بحنو قائلة:

ـ أطال الله عمركِ يا أمي. نحن معًا حتى أتخرج وينتهي إخوتي من دراستهم بتفوق، إن شاء الله.

احتضنتها الأم وفي عينيها دموع حبستها للحظة:

ـ هيا يا عزيزتي حتى لا تتأخري عن محاضراتكِ، ومن ثم عملكِ. في سلام الله وحفظه.

خرجت ملك من باب منزلها وهبطت على السلم متوجهة للطابق السفلي، حيث تسكن صديقة طفولتها سناء. طرقت الباب على عجل، ففتحت سناء الباب قائلة:

ـ ما كل هذا التأخير؟ سنتأخر على الجامعة.

ضحكت ملك بدلال وقالت:

ـ لن نتأخر يا حلوتي، فساعتي دقيقة وكل شيء محسوب.

توجهت الصديقتان إلى خارج المنزل، حيث تقيمان في أحد أحياء السيدة زينب، وهي منطقة والدها رحمه الله منذ كان شابًا يافعًا. كان مستأجرًا للشقة من صديقه والد سناء، كان والدها الحاج نبيل سائق شاحنة في شركة استيراد وتصدير. توفي

في حادث مأساوي، وبرغم أن تلك الحادثة كانت قضية رأي عام على كل مواقع التواصل الاجتماعي لتجبر وقسوة مالكي الشركة، لذا لم تتمكن ملك ووالدتها من مجابهتهم والحصول على حقوق والدها.

توجهت ملك إلى الجامعة بصحبة سناء، صديقة طفولتها وشبابها، وهي طالبة بنفس الصف ولكن بكلية الآداب. ذهبتا لحضور المحاضرات، ثم دخلت ملك قاعة المحاضرات، فعاتبها أستاذها بهدوء قائلًا:

ـ إنها المرة الأولى يا ملك التي تتأخرين فيها عن المحاضرة، ولكن سأعطيكِ العذر وأتمنى أن تكون الأخيرة.

نظرت ملك في حياء وقالت:

ـ أعتذر بشدة يا دكتور، إنها المواصلات العامة والطريق مزدحم للغاية.

حاول دكتور أحمد حمدي، الأستاذ المساعد بقسم الاقتصاد الدولي بالكلية، إخفاء نظرات الإعجاب التي تنتابه كلما رأى ملك. يحاول أن يكون أكثر جدية بلا جدوى، فنظراته تفضح مكنونات قلبه. وكانت ملك تشعر بذلك، باهتمامه البالغ لكنها تتجاهل هذه النظرات، فهي غير مؤهلة لتقبل أي علاقات في الوقت الحالي.

بعد انتهاء المحاضرة وأثناء خروج ملك من قاعة المحاضرات، قام دكتور أحمد بالنداء عليها قائلًا:

ـ من فضلك يا ملك، أريد التحدث معكِ قليلًا في مكتبي. لن أعطلكِ عن باقي محاضراتكِ.

نظرت له ملك في حياء وتوتر، فهي تعلم جيدًا معنى تلك النظرات بيقين وشعور الأنثى بداخلها. لم تكن ملك تحب تلك المواجهة، فقد كانت تتجنبها دومًا لأنها تحترم أستاذها ولا تريد أن تخسره أبدًا.

قالت له ملك:

ـ مثلما تريد يا دكتور، ولكن أستأذن حضرتك أن أحضر محاضراتي القادمة وآتي إليك إن شاء الله.

ـ كما تشائين يا ملك. سأنتظركِ في مكتبي، وكما وعدتكِ لن أؤخركِ على محاضراتكِ.

ـ لن أتأخر يا دكتور.

خرجت ملك من قاعة المحاضرات مسرعة، والتوتر والقلق يبدوان عليها. فماذا عليها أن تفعل؟ وكيف تتهرب من ذلك اللقاء ومواجهة مشاعر أستاذها بالرفض دون أن تخسره؟

كان أستاذ أحمد شابًا ذا أخلاق حميدة، مشهودًا له بالكفاءة والنزاهة من قبل طلابه ورؤسائه. رجل وسيم إلى حد ما، ذو علم ووظيفة مرموقة. لكنها لا تفكر إلا في مستقبلها ومستقبل أسرتها حتى تصل بنفسها وبهم إلى بر الأمان. لن تدع نفسها تنساق إلى أي علاقة تشغلها عن أهدافها وخطتها المستقبلية.

انتهت ملك من محاضراتها، وزادت حدة توترها وشعرت برجفة تسري في أوصالها. بقيت حائرة: أتذهب للقاء أستاذها وتنهي هذا الإعجاب؟ أم تتجنب المواجهة وتذهب إلى عملها بالشركة؟

فاختارت المواجهة ولتكن سريعة حتى يتسنى لها اللحاق بعملها. توجهت ملك على الفور إلى مكتب الدكتور أحمد وهي تشعر بثقل في قدميها كأنهما مثبتتان في الأرض.

فاتحها أستاذها في الموضوع مباشرة بعدما سمح لها بالجلوس أمامه، وقال:

ـ بالطبع يا ملك، أنت تعرفين بحدس الأنثى ما سأتحدث معك بشأنه. سأكون صريحًا وحديثي مباشرًا.

أجابته على غير ارتياح:

ـ نعم يا أستاذي الفاضل، أنا أعي تمامًا ما يصبو إليه حديثك.

ـ كيف لكِ أن تكوني بهذه الثقة ومعرفتك بما سأقوله؟

نظرت إليه نظرة إشفاق وأسف، وقالت:

ـ سبق وقلت، حدس الأنثى يا سيدي. تعلم أنك قدوتي، وأنك شخص غالٍ وعزيز على قلبي.

نهض أحمد من كرسي مكتبه، وتوجه ليجلس أمامها مباشرة، ونظر إليها بحنو، وقال:

ـ أعلم أنه ليس بالمكان المناسب، ولكن قدرك عالٍ عندي. أعرف أخلاقكِ جيدًا، وأنكِ سترفضين أن نتحدث في مكان عام خارج أسوار الجامعة. ولأكن صريحًا، أنا معجب بكِ يا ملك، وأريد التعرف إليكِ أكثر، ومن ثم الارتباط الرسمي إن قُدّر لنا ذلك.

نكّست ملك رأسها في خجل، وحاولت قدر الإمكان التهرب من نظراته إليها، وقالت:

ـ دكتور أحمد، أنت شخص مميز حقًا، وعلى قدر عالٍ من الأخلاق والعلم. ولكنني، وللأسف، أمامي طريق طويل للوصول إلى أحلامي وتحقيق أهدافي. وأيضًا لدي مسؤوليات، فمنذ وفاة والدي وأنا أتحمل نفقات إخوتي مع والدتي. لا يمكنني أن أتركهم في منتصف الطريق. وأقدر لك توصياتك في حقي، وأنك وفرت لي فرصة عمل بنظام التدريب ما كنت أحلم بها. صدقني، ابتعادي بهذه الطريقة ليس لشخصك، ولكني لن أكون أنانية وأختار نفسي فقط.

نهض الدكتور أحمد في أسى، وجلس على كرسي مكتبه مرة أخرى. قام بارتداء نظارته وتظاهر بالانشغال في الأوراق التي أمامه، وقال:

ـ حسنًا يا ملك، فلنكن كما كنا، أستاذ وطالبته. أتمنى لكِ التوفيق، فلن أجادلك. فالحب والاهتمام لا يُجادل فيهما. وأنا بجوارِكِ متى احتجتِ إلي. ولكن فكري، ولن أفقد الأمل.

شكرته ملك، واتجهت نحو باب المكتب خارجةً وعلى شفتيها ابتسامة ارتياح من حمل كان يضغط على كتفيها، وذهبت باتجاه باب الجامعة متأهبة للذهاب للعمل.

فهي تعمل في شركة كبرى بمجال الاقتصاد الدولي لتتحمل نفقات والدتها وإخوتها مروة وحازم. حيث إن مروة في الشهادة الإعدادية، وأخيها حازم في السنة الثانية من الثانوية العامة. أما والدتها السيدة أحلام، فهي ربة منزل كانت ونعم الزوجة والأم. تعلمت فنون المخبوزات والحلويات لتساعد زوجها قبيل رحيله، لتوفر حياة كريمة لها ولأولادها. وبعد وفاة الأب، كان هذا هو عمل الأم المنزلي بجانب عمل ملك في الشركة.

وصلت ملك إلى عملها وبدأت بدراسة الملفات التي أمامها. فهي حقًا متميزة ومحبوبة من زملائها ورؤسائها. وتفوقها في دراستها

انعكس على عملها بالإيجاب. وبينما هي منهمكة في الدفاتر المرصوصة أمامها، دخلت "منى" إحدى زميلاتها، وقالت لها:

ـ ملك، لماذا أنتِ مستغرقة إلى هذا الحد في العمل؟ لقد ناديتُ عليكِ كثيرًا.. ما هذا الشرود يا صديقتي؟ أبكِ خطب ما؟

نهضت ملك، وهي تحاول تحريك تيبس عضلاتها من الجلوس لفترة طويلة، ونظرت إلى منى وهي ظاهر عليها التعب والإرهاق، وقالت:

ـ استغرقت وقتًا طويلًا في إعداد التقارير وفقًا للملفات التي أمامي. فالمدير التنفيذي طلب مني أن أنجزها اليوم.

نظرت لها منى بإشفاق، وقالت:

ـ ولكنك متعبة للغاية، فلتطلبي من المدير الإذن بالانصراف.

قالت ملك:

ـ لا، لابد أن أستكمل ما بدأت. فأنا أريد الاستمرار والتميز يا منى. لست مثل الجميع معينين ومثبتين في المكان، ولكني بنظام التعاقد كما تعلمين.

أجابتها منى:

ـ كما تشائين يا ملك، ولكن أستاذ مهاب، المدير التنفيذي، سأل عنكِ أكثر من مرة.

نظرت ملك لها بحدة، وقالت:

ـ ماذا يريد مني؟! لا أفهم حقًا يا منى، ما سر محاولاته للنيل مني فيما يخص العمل، ومحاولته تصيّد الأخطاء التي لا توجد أساسًا، وإعطائي المزيد والمزيد من الأعباء؟ ماذا فعلت له ليتعامل معي بهذا الشكل؟

هدّأتها منى قائلةً:

ـ إنه غريب حقًا يا ملك. هو يتعامل بطريقة رسمية مع كل العاملين بالشركة، ولكنني أجده معكِ أكثر حزمًا وحدّة. حاولي أن تتجنبيه يا عزيزتي، فأنتِ تحتاجين لعملكِ كثيرًا.

نظرت إليها ملك بعينين مليئتين بالأسى، وقالت:

ـ عندكِ كل الحق يا منى. سأذهب لمكتبه، ثم أرى ماذا يريد.

اقتربت ملك من غرفة مكتب الأستاذ مهاب، المدير التنفيذي بالشركة، وتنهدت بقوة، واستجمعت شتات نفسها، ولملمت خصلات شعرها المتطايرة على جبينها، وطرقت باب الغرفة، وقالت:

ـ أتسمح لي يا سيدي بالدخول؟

نظر إليها من خلف نظارته، وقال:

ـ تفضلي يا ملك.

جلست ملك أمامه في حنق، قائلةً:

ـ انتهيت من جميع التقارير يا سيدي.

أجابها متظاهراً بالانشغال وهو ينظر لهاتفه النقال:

ـ كنت أبحث عنكِ لهذا السبب. وهل تحتاج التقارير للمراجعة؟ أم أن كل شيء على ما يرام؟

أجابته وهي تنظر إليه بثقة:

ـ لا تقلق يا سيدي، فلقد راجعتهم مرارًا.

ترك مهاب هاتفه ونظر لها بلا مبالاة، قائلًا:

ـ عظيم يا ملك، ذلك عهدي بكِ دائمًا. أنتِ متميزة حقًا.

ابتسمت ملك في خجل، قائلةً:

ـ أعذرني يا سيدي لجرأتي، ولكن عندي فضول لسؤال إن سمحت لي بذلك.

ابتسم مهاب مشيرًا لها بيده للتحدث.

قالت:

ـ أعتذر حقًا لسؤالي، ولكنني لاحظت أكثر من مرة أنك تشيد بكفاءتي في العمل بيني وبينك فقط، أما أمام زملائي فتتعامل معي بحدة وحزم أكثر من اللازم. فهل قمتُ أنا بفعل أو شيء جعل ردود أفعالك معي صارمة بهذا الشكل؟

ضحك مهاب، وقال:

ـ لا تقلقي يا ملك. أنا أقدرك حقًا وأقدر تميزكِ، وأنكِ من القلائل في الشركة ممن أنتبه لهم وأتنبأ لهم بمستقبل باهر. ولكنني لا أحب أن يشعر أحد ممن في الشركة أنني أخصكِ بالإطراء والاهتمام.

ابتسمت ملك، ونظرت إليه نظرة ارتياح، قائلةً:

ـ حسنًا يا أستاذ مهاب، أسعدتني كلماتك كثيرًا. فأنا أحتاج هذا العمل لظروف خاصة بي.

أجابها وهو منشغل مرة أخرى خلف حاسوبه:

ـ لا تقلقي يا ملك، فالشركة تقدّر تفانيكِ في العمل وتميزكِ. وأتمنى لكِ مستقبلًا باهرًا. إن أردتِ الانصراف من الشركة، فتفضلي، فقد أنجزتِ اليوم الكثير من العمل.

شكرته ملك كثيرًا وخرجت من مكتبه وعلامات استفهام كثيرة تداعب عقلها: ما هذا الشخص المتقلب المزاج؟ تارة مهتم، وتارة منشغل، وتارة أكثر جدية وحزمًا وقسوة. وقالت في نفسها: "لعلها شخصيته... إنه لمعتوه حقًا".

سارت ملك باتجاه غرفة مكتبها وتناولت حقيبتها وأمسكت بهاتفها للاتصال بصديقتها سناء. وما إن أجابت على الهاتف حتى قالت لها:

ـ جميلتي العزيزة، ماذا تفعلين بدوني؟

ضحكت سناء وقهقهت:

ـ لقد عدت إلى البيت بعد محاضراتي، وها أنا أرتب بعض الملابس يا عزيزتي.

قالت لها ملك:

ـ وأنا انتهيت من العمل اليوم وسأعود إلى البيت لأساعد أمي في إعداد وجبة الغداء، وبعدها أهبط إليكِ لأقصّ ما حدث في الجامعة والشركة اليوم.

شهقت سناء بلهفة وقالت لملك:

ـ أستنتظرين بعد الغداء؟! أنا لا أطيق صبرًا يا حلوتي، ساعدي أمك ولكن سنتناول الغداء سويًا اليوم.

أجابتها ملك:

ـ حسنًا يا سناء، كما تشائين. أراكِ قريبًا.

أغلقت ملك الاتصال مع سناء واستقلت الحافلة للعودة إلى المنزل، وشردت وهي تنظر إلى نافذة الحافلة. فتذكرت أشياء كثيرة كانت تؤرقها.

اليوم لم يكن مثاليًا بالنسبة إليها، فموقفها مع أستاذها يضايقها كثيرًا. لم تكن تتمنى هذه المواجهة أبدًا، كانت لتحتفظ به صديقًا ومعلمًا، ولكن تلك المواجهة اللعينة دمّرت كل شيء. فقد خسرته للأبد، وهي تعي ذلك جيدًا. أيضًا هي تستشعر أن عملها على المحك، فأفعال الأستاذ مهاب تشتت استقرارها الوجداني. شردت وقالت لنفسها: "ماذا لو كان والدي على قيد الحياة؟ لكنت استشرته في كل أمور حياتي وشاركت معه كل تفصيلة فيها. فاليُتم شيء مفجع حقًا".

بالرغم من أن والدها كان يعمل سائقًا، إلا أنه كان واعيًا ومثقفًا وقارئًا جيدًا ومحللًا. كان يتميز بالسمعة الطيبة في الحي، وكان الجيران يلجؤون له للمشورة ولحل جميع مشكلاتهم.

ملك تفتقده حقًا، فالحياة بدونه بلا طعم، بلا شعور بالدفء والأمان.

استفاقت ملك على نداء سائق الحافلة وهو يسأل: من سيهبط في هذه المحطة؟ فأشارت إليه بالإيجاب.

هبطت متثاقلة متعبة ومحبطة، ثم سارت في اتجاه المنزل.

فتحت ملك باب المنزل بمفتاحها الخاص وتوجهت نحو المطبخ، حيث كانت والدتها، فألقت عليها التحية وقبّلت وجنتها قائلة:

ـ أعتذر يا أمي كثيرًا. فاليوم كان مليئًا بالدراسة والعمل، ولم يتركني رئيسي في الشركة إلا عندما انتهيت من إعداد المزيد من التقارير التي كان يريدها.

ربتت الأم بكل حنان على كتفها وقالت:

ـ حبيبتي، أدعو لكِ دومًا بالتوفيق. لا تعتذري يا صغيرتي، فأنتِ تعتنين بنا كثيرًا وتُتعبين نفسك من أجلنا. آه لو كان بيدي

ما كنتُ تركتك تُنهكين بهذا الشكل في العمل، وكنتِ كمن هم في مثل سنكِ لا يشغلكِ شيء سوى الرفاهية والاهتمام بجمالك والتنزه مع النديمات.

احتضنتها ملك بقوة وقالت:

ـ لا يا أمي، هذا واجبي تجاهكِ وإخوتي، وسأبذل قصارى جهدي لنعيش سويًا حياة كريمة وأوفر لكم ما تحتاجونه وأجعلك ترتاحين من العمل الشاق والجلوس لفترات أمام الفرن لتخبزي للزبائن المعجنات والحلويات. كل ذلك سيزول قريبًا إن شاء الله.

خرج كل من حازم ومروة من غرفتيهما باتجاه المطبخ، فقالت مروة:

ـ أنا جائعة جدًا يا أمي. أنتِ تتحدثين مع ملك كثيرًا ونحن جائعان.

سخر منها حازم مازحًا:

ـ أما أنا فأكثر جوعًا يا ملك، وإلا سأتناول طعام الزبائن هذا كله.

ضحكت ملك بحنو وقالت لهما:

ـ هيا نساعد والدتنا، وإلا سيأكلنا حازم بالتأكيد.

بدأوا في مساعدتها في المطبخ، وشعرت ملك بأنها مقصّرة في حق إخوتها لانشغالها الدائم. فنظرت لمروة قائلة:

ـ ما أخبارك يا جميلتي؟ وهل تستذكرين دروسكِ كما يجب؟

أجابتها مروة ببراءة طفولية:

ـ الحمد لله يا ملك. فهذا الشهر حصلت على علامات متميزة في اختبار الشهر، ولكن ينقصني كتاب خارجي لمادة الرياضيات. فأنا ضعيفة فيها إلى حد ما.

ابتسمت ملك واحتضنتها بفرح:

ـ مبارك لكِ تميزكِ يا مروتي الجميلة. وبالطبع حينما تنتهين من تناول الغداء سأعطيكِ نقودًا لشراء الكتاب. فأنتِ ابنتي يا مروة ولستِ شقيقتي فقط.

احتضنتها مروة بحب. ولطالما شعرت بالدفء والأمان بأحضان شقيقتها الكبرى، وهي تقدر حقًا تعبها في سبيل راحتهم.

وعند تناول الغداء تذكرت ملك أنها وعدت سناء بتناول الغداء معها. فنهضت مسرعة وهبطت إليها لتقصّ عليها ما مر بها في يومها وما يؤرقها.

فسناء هي صديقتها الوحيدة وكاتمة أسرارها. فلقد نشأتا سويًا منذ الصغر، وهي ابنة صاحب المنزل القديم الذي تسكن فيه ملك بالإيجار في حي السيدة زينب منذ أن كانت في المدرسة الابتدائية، وترعرعتا سويًا حتى الجامعة.

قصّت ملك على سناء كل شيء، وأزاحت بعضًا من العبء عن كاهلها، وجلستا الاثنتان تفكران في حلول للخروج من المأزق وعدم خسارة معلمها أحمد، وكذلك التعامل بحذر مع مهاب رئيسها في العمل.

فقالت لها سناء مازحة:

ـ ما رأيكِ يا ملك؟ ألا تخسري أستاذ أحمد وتُجاريه في حبكِ حتى ينتهي عامكِ الدراسي، وبهذا لن يتمكن من الانتقام منكِ؟

نظرت لها ملك نظرة غيظ تنم عن أنه حل بغيض وقالت:

ـ يا لأفكاركِ السوداوية! وهل تظنين أن أخلاقي تسمح لي بالتلاعب بقلوب العباد يا سناء؟

أومأت لها سناء بالإيجاب:

ـ عندكِ كل الحق، فتقريبًا أخلاقنا والمبادئ التي تربينا عليها أصبحت مشكلتنا.

أجابتها ملك:

ـ بل لابد أن نفتخر بما نشأنا عليه، ولعل الله يقف معنا بسبب طيبة قلوبنا.

وعند المساء تركتها ملك وصعدت لتنال قسطًا من الراحة على أمل أن يكون الغد أجمل بإذن الله. ولكن ماذا يخبئ لها القدر؟ وهل ستنجح في تحقيق ما خططت لأجله لتحقيق كل أحلامها؟

وبينما هي غارقة في تفكيرها، استندت على وسادتها وذهبت في نوم عميق.

الفصل الثاني

أوجاع الحياة.. السم بالعسل

مضت الأيام متشابهة كحال الجميع، كلٌّ يفكر فيما يشغله، أيام ثقيلة على هؤلاء الذين يسعون لكسب لقمة العيش ويتمنون غدًا أفضل. كانت ملك مثلهم جميعًا يشغلها فترة الامتحانات القادمة، ومحاولة التوفيق بينها ووقت العمل دون الإخلال بأحدهما.

توجهت ملك إلى الجامعة كعادتها، ولكنها لم تكن تتسابق للذهاب مثل ذي قبل، بل أصبحت تذهب متثاقلة مهمومة، فأستاذها الجامعي لم يعد كالسابق، بل أصبح يتعامل معها بتعنت واضح وقسوة مفرطة، يقلل من الأبحاث التي تقوم بها عندما يطلبها.

دخلت ملك المحاضرة محبطة وجلست في المقاعد المخصصة للطلاب، وكانت تدون كل ما تسمعه من شرح للمعلومات التي يلقيها أستاذها، فلم يعد هناك مجال لليأس، لابد أن تنجح وبتفوق ليتم تثبيتها في الشركة.

أنهت ملك محاضرتها وكانت تتأهب للانصراف حين باغتها الأستاذ أحمد مناديًا:

ـ لماذا لم تقدمي البحث الأخير الذي طلبته يا ملك؟

أجابته ملك وهي تعلم جيدًا ما يقصده:

ـ لقد طلبته من الجميع بالأمس يا أستاذي الفاضل وأعطيتنا جميعًا مهلة يومين لإنجازه، فاليوم هو اليوم الأول، وغدًا إن شاء الله أسلمه لك.

أشار إليها وعيناه تكاد تقفزان من محجريهما غيظًا:

ـ غدًا أستلمه منكِ أولًا قبل الجميع.

ـ بالطبع يا سيدي.

خرجت ملك من الجامعة مهمومة مثقلة بالمتاعب وتوجهت للعمل فورًا.

ما إن وصلت للشركة حتى وجدت اتصالًا هاتفيًا من مهاب، أغلقت الخط لأنها بداخل الشركة.

وتوجهت فورًا إلى مكتبه وعلى شفتيها ابتسامة هادئة وقالت:

ـ صباح الخير أستاذ مهاب.

اعتدل مهاب في جلسته وأجابها:

ـ صباح الخير يا ملك، كيف حالك؟

أومأت برأسها:

ـ كل شيء على ما يرام، أستاذي الفاضل.

أجابها متحمسًا:

ـ اليوم مميز حقًا يا ملك، جاء إلى مصر خبير اقتصادي مهم من بلد عربي وسيتم عمل وليمة غداء بإحدى الفنادق الكبرى، ولقد اخترتك لهذه المهمة وستأتين معي بصحبة أبي، رئيس مجلس الإدارة اليوم.

عقدت حاجبها في دهشة وقالت:

ـ هذا خبر جميل ولكن يا سيدي!

قاطعها مهاب:

ـ لكن ماذا يا ملك؟ إنها فرصتك الكبرى.. كنت أظن أنكِ متطلعة للأفضل، وانضمامك سيزيد من خبراتك بالتأكيد.

نظرت ملك لملابسها وقالت في ضيق:

ـ لم أعد لذلك مسبقًا، لقد فاجأتني، فملابسي تصلح للجامعة أو العمل وليس لهذه المناسبة.

ضحك مهاب وأجابها:

ـ لا تقلقي يا ملك، توجهي الآن لقسم الحسابات فقد أبلغتهم مسبقًا بصرف مبلغ من المال لشراء احتياجاتك لهذا اليوم، لكن لا تتأخري فموعدنا في السادسة مساء.

تهللت أسارير ملك وتملكتها الفرحة، فهي لأول مرة وبصورة عملية ستكون في غداء عمل، وسترى كيف تجري الاتفاقيات الاستثمارية الكبرى، وأيضًا ستذهب إلى مكان فاخر من الأماكن التي لا تراها إلا على التلفاز، وستكون فرصتها لإثبات تميزها.

فورًا تحدثت إلى سناء في الهاتف قائلة:

ـ لدي خبر رائع اليوم.

ـ ما هو يا ملك؟ أخيرًا هناك خبر سعيد.

ـ تم اختياري لأشارك في غداء عمل بإحدى الفنادق الكبرى بالعاصمة برفقة الأستاذ مهاب المدير التنفيذي بالشركة. لقد اختارني يا سناء، أنا فرحة للغاية.

أجابتها سناء:

ـ يا للسعادة يا ملك، استجاب الله لدعائك يا حلوتي، ولكن ماذا سترتدين؟

أجابتها ملك:

ـ لقد طلبتك لهذا الشأن، هيا لنذهب سويًا وبسرعة للمحال القريبة بوسط البلد، فليس لدي وقت كافٍ لشراء الملابس والذهاب لمركز التجميل، وحينما تأتي سأبلغ أمي سريعًا بتأخري.

ـ سآتي حالًا يا حلوتي، لن أتأخر.

مرت الساعات سريعًا وتهيأت ملك كعروس في ليلة العمر، كانت جميلة حقًا، وانسدل شعرها الأسود المموج كزهور تيوليب سوداء على كتفيها مع مشط شعر جانبي بلون أرجواني. ووضعت القليل من المساحيق التي تبرز جمال عينيها السوداوين، فهي لا تحتاج إلا القليل لجمالها الملفت للنظر. ارتدت ملك فستانًا باللون الأسود المزكرش بالورود الأرجوانية وحذاءً لامعًا بكعب عالٍ، وحملت حقيبة مقلدة من "جوتشي".

استقلت ملك سيارة توصيل خاصة بشركة "أوبر" لكي تصل للفندق، فمن غير الممكن أن تصل بهذا الشكل المهندم مستقلة الحافلة أو مترو الأنفاق كما أوصتها صديقتها سناء.

وما إن وصلت للفندق حتى...

استقلت ملك المصعد للطابق الخاص بالمآدب الكبرى، وما إن رآها حتى قام مهاب من مجلسه وتقدم نحوها قائلًا:

ـ يا لهذا الجمال المفرط يا ملك، لم أتخيل ولو للحظة أنكِ ستتغيرين لهذا الشكل الجذاب.

ابتسمت ملك في خجل:

ـ أخجلتني يا أستاذ مهاب، أشكرك على تلك الكلمات الرقيقة.

أجابها مندهشًا:

ـ إنه ليس بإطراء يا جميلة، أقصد يا ملك.

ضحكت ملك وتقدمت نحو الطاولة لتجلس في انتظار الضيوف الذين كانوا على مشارف الوصول.

لم يكن على الطاولة سواها ومهاب الذي ظل محدقًا في عينيها بقوة لدرجة أخجلتها كثيرًا وجعلتها تشعر بأنها تتهاوى في بئر سحيق من العسل. كم من المشاعر الرقيقة التي عاشتها معه قبيل وصولهم. وفجأة قام مهاب من كرسيه وتناول من على المنضدة

الأخرى وردة باللون الوردي الفاتح، وباغتها سريعًا بوضعها بجانب مشبك شعرها الجانبي.

شعرت ملك وكأن صاعقة تحتلها بقلوب وورود وتحتل جسدها بأكمله.

ما هذا الشعور المفاجئ الذي يعتريها؟ وكأنها مع شخص آخر أكثر عطفًا وحنانًا ورومانسية غير أستاذ مهاب، لعله يضع قناعًا من الحزم والجديّة في العمل غير الذي تراه الآن...

ونظرت في عينيه بلطف قائلة:

ـ شكرًا لك يا سيدي، إنها لفتة جميلة حقًا أسعدتني اليوم كثيرًا.

أجابها مهاب وتكاد تنقلع مقلتاه من مكانهما من فرط الإعجاب:

ـ مهاب من فضلك، بدون أية ألقاب حينما نكون بمفردنا بدون خجل، فقد صرنا صديقين ونعمل معًا منذ فترة لا بأس بها.

أجابته:

ـ حسنًا مهاب، ها قد أتى ضيوفنا، هيا لنستعد لاستقبالهم.

تمنت ملك لو كانوا قد تأخروا عن الوصول بعض الوقت، فالقرب من مهاب يذيب ثلوج فؤادها ويفجر طاقات أنوثتها.

تميزت ملك في جلسة العمل بشكل استثنائي، وكانت تجيب على كل استشارات الضيوف بشكل مهني محترف، وبحكم اطلاعها على القوانين الاقتصادية وكل ما يخص تخصصها وعملها بالشركة، مما جعل عندها الخبرة الكافية.

حتى إنها جذبت أنظار الضيف من البلد العربي الشقيق "الأستاذ كاظم"، صاحب الاستثمارات الكبرى، فأعطاها بطاقة التعريف الشخصية الخاصة به وبها أرقام هاتفه والبريد الإلكتروني، وأكد عليها بأن شركته في البلد العربي تتمنى انضمامها أي وقت.

مما زاد من حنق مهاب وغيرته كثيرًا، حتى إنه كان يتمنى لو أزاح تلك البطاقة من يديها ومزقها إربًا.

وبعد انتهاء غداء العمل تنفست ملك الصعداء لأنها تحدثت كثيرًا ودونت العديد من الملاحظات وأعطتها لوالد مهاب.

بعد انصرافهم وقفت أمام مهاب لتودعه قائلة:

ـ أشكرك حقًا يا مهاب على إتاحة هذه الفرصة لي.

نظر إليها مهاب في ضيق وغضب واضحين على تعابير وجهه:

ـ من يظن نفسه هذا الأحمق ليعطي إليكِ كارت التعريف الخاص به أمامنا بهذا الشكل المبتذل؟ ولقد أخطأتِ يا ملك بأخذه منه.

ـ أعتذر حقًا، لم أقصد ذلك، ولكنني تفاجأت بطلبه لرقم هاتفي، ولكان سيعتبرها إهانة لو كنت رفضت، وخفت حقًا من رد فعله.

أشاح مهاب بوجهه بعيدًا عنها، وارتفع صوته بحدة وسخرية:

ـ أخفتِ حقًا؟؟؟

شعرت ملك بالإحراج ونظرت حولها، فالجميع اتجهت نظراتهم لمصدر الصوت العالي، وقالت له بصوت منخفض مكسور:

ـ أنا لم أفعل شيئًا يا سيدي.

لوّح لها بيده غاضبًا ومضى ليستقل المصعد هابطًا وحده، وتركها في حالة من الذهول والصمت الممزوج بالانكسار.

استقلت ملك الحافلة وهي شاردة تفكر في الشعور الذي كان يعتريها منذ بضع ساعات، وهي غارقة في كم من المشاعر الجميلة. كانت تشعر أنها كملكة في حفل أسطوري، وبلمسة مهاب على شعرها، فتذكرت على الفور الوردة التي وضعها، فأزالتها سريعًا والتقطتها بيدها في خجل ممن حولها.

تذكرت شعورها الآن، فهي تشعر بالحزن والأسى والاندهاش من مهاب كثيرًا، كيف يتركها بهذه الطريقة في الفندق وبدون حتى الاكتراث لها؟ ما هذا الشخص المتقلب المزاج؟

وللحظة حاولت إقناع نفسها بأن الغيرة هي السبب الرئيسي في ردة فعله تجاهها. إنها مندهشة حقًا، لم يرغب حتى أو يعرض توصيلها للبيت.

وصلت ملك إلى منزلها وقصّت على والدتها وسناء ما حدث، مما جعل والدتها تخاف من هذا الشخص المتقلب، وحذرتها منه كثيرًا، ولكن سناء كان لها رأي آخر، فأخذتها ملك لغرفتها.

نظرت لها سناء بسعادة قائلة:

ـ يبدو أن هناك أحدًا غارق في حبك يا ملك ويغار كثيرًا.

ابتسمت ملك وعقلها مشوش:

ـ يبدو أنني أنا من وقعت يا سناء، فعقلي لا ينفك إلا أن يفكر بتلك اللحظة التي لامس فيها شعري مباغتًا إياي، لكنه غاضب مني جدًا ولا يرد على اتصالاتي على هاتفه النقال.

ـ إنها الغيرة يا حلوتي، ولكن احذري، فإن مردود أفعاله مخيف حقًا.

ـ إنه رقيق يا سناء، ويبدو أنني أغضبته كثيرًا، فما كان علي أن آخذ تلك البطاقة اللعينة.

وأخذت ملك البطاقة من حقيبتها وألقت بها بعصبية وسط أوراق مكتبها في ضيق.

ذهبت ملك في اليوم التالي للعمل مبكرًا، حيث إنها في عطلة من الجامعة لاقتراب الامتحانات النهائية، وتوجهت فورًا إلى مكتب مهاب وحاولت قدر استطاعتها أن ترضيه وتدفعه ليصفح عنها.

فنظر إليها أخيرًا وقال:

ـ حسنًا يا ملك، لا تكرري هذا الفعل أبدًا.

ـ لك ما تطلب يا أستاذ مهاب.

ـ قلت لك، لا ألقاب بيننا.

ـ حسنًا يا مهاب.

نظر في عينيها قائلًا:

ـ كنتِ بالأمس كالملكة المتوجة.

ـ شكرًا لك، لقد أسعدتني كثيرًا.

أجابها مبتسمًا:

ـ عليكِ أن تكوني مطيعة دوما، وسوف تنقلب حياتك للأفضل وتحققين أحلامك بشكل أسرع.

نظرت إليه نظرة تنم عن عدم الفهم قائلة:

ـ سأكون عند حسن ظنك، صدقني.

أمسك مهاب بيدها قائلًا:

ـ ما رأيكِ يا ملك بأن نتناول الغداء سويًا اليوم؟ فأنا أريد التعرف إليكِ أكثر.

ـ ولكن يا مهاب...

نظر إليها بحدة:

ـ ليس هناك مجال للرفض، أنا لن أصطحبكِ إلى ملهى ليلي يا ملك. إننا في عام ٢٠٢٥ والجميع يسعون للتغيير، كما أننا سنتناول الغداء في مكان عام.

نكّست ملك رأسها، فهي مجبرة على القبول، ولكن بداخلها شيء يحب التواجد جوار مهاب:

ـ حسنًا يا مهاب، سأنهي عملي وأنتظرك خارج الشركة.

ـ لا، لا، فلتنتظريني بعيدًا عن الشركة، فأنتِ كما تعلمين وضعي جيدًا، ولا أريد الموظفين أن يتناولونا بألسنتهم.

ـ كما تشاء، أراك قريبًا.

مضت الساعات، وأنهت ملك عملها سريعًا وتأهبت للقاء المنتظر. فوضعت بعضًا من عطرها المفضل وقامت بتصفيف شعرها الطويل. انصرفت من الشركة باتجاه الشارع الفرعي حتى وصلت للمطعم المنشود.

وعندما رآها مهاب نهض سريعًا من كرسيه ليجلسها على كرسيها أولًا ثم جلس هو الآخر. شعرت ملك بهبات من الرياح الساخنة تعتريها، وقالت بداخلها: كم هو شهم ورجل بحق.

تحدثا طويلًا في أمور كثيرة تخص حياة ملك والعمل والجامعة. تلاقت أعينهما في صمت لدرجة أربكت ملك كثيرًا، فوقع هاتفها من على المنضدة على غير قصد منها. فانخفضت لتناوله

بيدها، ولكن مهاب التقطه ممسكًا بأناملها الرقيقة، ممررًا أصابعه على أصابعها. فانتفضت خجلًا وتوردت وجنتاها واعتدلت في جلوسها على كرسيها.

سألته في حنو:

ـ عرفت كل ما يجب معرفته عني، ولكني لا أعرف عنك إلا القليل.

أجابها مهاب:

ـ أنا خريج نفس كليتكِ يا ملك، وأكبر منكِ بسبع سنوات. أنتمي لعائلة مرموقة تعمل في مجال الاستشارات العقارية وتداول الأوراق المالية بالبورصة كما تعلمين. لي أخ وأخت يعيشان بالخارج. كنت مرتبطًا بخطبة فتاة، أعلنا خطبتنا في حفل عائلي بسيط، ولكن الخطبة لم تدم طويلًا، برغم أنها كانت حبيبة طفولتي وشبابي، وافترقنا، وتمت خطبتها سريعًا بعد مدة قصيرة.

زاد فضول ملك وبدأت بإلقاء الأسئلة:

ـ ولماذا لم تدم خطبتكما؟

ـ كانت غير مطيعة بالمرة، تجادل كثيرًا ولم تتفهم طبعي وغيرتي في كثير من الأحيان. فثار كبريائي وتركتها لغير رجعة.

ـ كيف وصفتها بحب عمرك وتتركها بهذه البساطة؟ ألم تشعر أنك مخطئ ولو لمرة؟

ـ بالطبع أثر فيّ ذلك كثيرًا، ولكنني لا أنظر خلفي أبدًا ولا مجال للعودة، فهي لا تناسب شخصيتي.

شعرت ملك بالضيق والغيرة، وغيرت مجرى الحديث سريعًا بفطنتها المعهودة. وعندما انتهيا من الطعام، أوصلها مهاب بسيارته المرسيدس الفارهة بالقرب من منزلها كما أرادت، لأنها تقطن في حي شعبي، فمن غير اللائق أن يوصلها عند البيت مباشرة.

عادت ملك وعلى غير العادة لم تقصّ على والدتها ما حدث ولم تكن صريحة، بل أكدت لوالدتها أنها كانت تعمل في الشركة لوقت إضافي. اختلت ملك بنفسها في غرفتها وهي تتذكر كل تفاصيل مهاب وما حدث، وكيف للمسة واحدة أن تهز كيانها بهذا الشكل؟ كيف كانت تظن أنها بمنأى عن الحب وأموره؟ كيف تناست ما عاهدت به نفسها بالابتعاد عن العاطفة؟ فأمامها أهداف وطريق طويل، ولكنها استفاقت على دقات قلبها المعلنة بكل وضوح عن الوقوع في عشق مهاب.

إنه العشق لا محالة. ضمت وسادتها إلى قلبها واسترجعت كل تفصيلة من اليوم الخاص الذي عاشته معه. ولكن ما يقلقها حقًا تقلباته المزاجية، واندهشت من طلبه منها قص شعرها على نحو ما يريده هو. هي تحب شعرها الطويل كثيرًا، ولكن لتفعل ذلك كنوع من التغيير أقنعت نفسها بأن شكلها سيكون أفضل.

في اليوم التالي، ذهبت ملك لمركز التجميل وقصت شعرها وغيرت لونه كما طلب منها مهاب.

مضت الأيام سريعًا وهما يتقابلان سرًا، وأعلن لها مهاب عن حبه. وكانت لا تطيق صبرًا على يوم يمر بدون لقائه.

ولكن عليها التركيز أكثر في امتحاناتها والاستذكار جيدًا، فكان يعطيها مهاب بعض الوقت لتذهب للامتحان ثم تعود للعمل كنوع من الامتياز لها، مما أتاح لها الفرصة بأن لا تكون مضغوطة في التوفيق بين الجامعة والعمل.

واليوم أنهت آخر امتحان بالجامعة. طلب منها مهاب الذهاب إلى مقهى جديد بالقرب من الشركة. وما إن وصلت حتى أمسك مهاب بيدها قائلًا:

ـ افتقدتكِ كثيرًا يا حبيبتي، برغم أنني أراكِ يوميًا بالشركة عندما تعودين من كل امتحان، ولكني كنت أشعر أنك بعيدة عني.

ابتسمت ملك في فرح:

ـ أنا أيضًا يا حبيبي، ولكنني يا عزيزي لم أترك يومًا دون محادثتك.

ـ لا يكفيني ذلك، فأنا أطمع في المزيد منك.

نظرت إليه ملك بحب:

ـ أنا أيضًا لا أطيق صبرًا على الابتعاد عنك، ولكن دعني أسألك: ما سر محاولاتك الدائمة للتغيير من هيئتي وتغيير نمط ذوقي في اختيار ملابسي؟ ألا يعجبك حقًا؟

أجاب مهاب متلعثمًا:

ـ لا يا ملك، أنت تعجبيني في كل أحوالك، ولكنني أريد أن أراكِ بكل الأذواق.

ضحكت ملك:

ـ دائمًا تنتصر عليَّ بردودك السريعة.

أجابها مهاب:

ـ كوني مطيعة دومًا وسأغرقك حبًا وحنانًا.

أجابته ملك بذكاء:

ـ لا أعلم حقًا ما هو مفهوم الطاعة عندك، ولكنني أثق تمامًا بأننا متقاربان جدًا في وجهات النظر وفي أشياء كثيرة...

ـ أنا أيضًا أثق في ذلك، ولكنك في بعض الأحيان تجادلين، وأنا لا أحب المجادلة، فلقد اختارك مهاب بك مراد لتكوني حبيبته، فلتتفهمي ذلك، فكثير من النسوة سيحسدنَكِ على ذلك.

ـ أفتخر بحبك كثيرًا وباختيارك لي.

اقتطب حاجباه قائلًا:

ـ وهل أحد غيرنا يعلم علاقتنا؟

سرت رعشة خوف وقلق على ملك وقالت:

ـ لا، لا، لم أحدث أحدًا بشأننا.

لا تعلم ملك حقًا لماذا كذبت على غير عادتها، فهي تكره الكذب وتخاف من ردود أفعاله كثيرًا. أي علاقة هذه التي نضطر فيها للكذب والشعور بالقلق؟

مر الوقت سريعًا مع مهاب كالريح، ولأول مرة ملك تشعر أنها غارقة في العشق حتى أذنيها، برغم تحذيرات والدتها. ولا تعلم ما سر ذلك وما سر عدم تقبل والدتها له، حتى سناء تغير حكمها عليه بعدما كانت ملك تحكي لها أولًا بأول عن غضبه...

ولكنها تثق في مهاب وأن سرعان ما سيتغير كل شيء للأفضل.

كانت ملك متفرغة تمامًا للعمل بالشركة، ونجحت بتفوق ملحوظ في الجامعة وأخيرًا تخرجت.

وتقربت أكثر فأكثر من مهاب رغم تحفظها على ردود أفعاله الحادة وقت غضبه، والذي يعتريه جراء أي خلاف بسيط بينهما، وإصراره على التغيير في مظهرها بشكل كبير كأنه يريدها أن تكون شخصًا آخر في مخيلته هو فقط.

عادت ملك من عملها سريعًا لأن اليوم مميز حقًا، فخطبة سناء غدًا، وعليها القيام بمهام كثيرة قبيل الخطبة. فذهبت إلى سناء مباشرة في الطابق السفلي لمنزلها وساعدتها في إعداد الطعام لأسرة خطيبها، وكذلك اختارتا سويًا كل شيء.

فالخطبة ستكون عائلية بسيطة في بيت سناء، وأكدت ملك على خبيرة التجميل ألا تتأخر صباحًا في القدوم حتى تتمكن سناء من الانتهاء من زينتها قبل قدوم ضيوفها.

وفي المساء حاولت ملك مهاتفة مهاب مرارًا دون أن يجيب على اتصالاتها، فاندهشت لذلك وتركت له رسالة عبر تطبيق الواتساب، والغريب أنه شاهدها ولم يجب.

في اليوم التالي...

أعدت والدة ملك بعضًا من الحلوى اللذيذة، وارتدت أختها مروة ملابسها الجديدة التي قد اشترتها لها ملك مسبقًا، وكذلك حازم، وهبطوا جميعًا إلى منزل سناء للاحتفال بالخطبة.

وفي أثناء الاحتفال هاتفها مهاب كثيرًا، ولكنها قد نسيت هاتفها في بيتها بالأعلى حيث كانت تضعه على الشاحن الخاص به.

وبعد انتهاء الحفل صعدت ملك وشاهدت اتصالاته المتكررة، فحاولت الاتصال بمهاب مرارًا دون أن يجيب على اتصالاتها.

ولكنه في الأخير أجاب على هاتفه وقال:

ـ اتصلت بك مرارًا، أين كنتِ؟

ـ ألم أقل لك يا مهاب إنها خطبة سناء اليوم؟

أجابها بصوت عالٍ:

ـ وما شأني أنا بسناء وخطبتها؟! أم أنكِ كنتِ مشغولة في الحفل مع أحد أقارب سناء أو أقارب العريس؟

غضبت ملك وتحدثت بصوت خافض كي لا تسمعها والدتها:

ـ مهاب، ماذا تقول؟ كنت أضع الهاتف على الشاحن في بيتي بالأعلى، أقدر غضبك وغيرتك كثيرًا، ولكن ألا تثق بي؟ ماذا فعلت كي يكون غضبك بهذا الشكل؟ أنا لم أقترف أي خطأ وظننت أنني أخبرتك بأنني سأكون مشغولة في الحفل.

أغلق مهاب خط الاتصال دون التفوه بأي رد على حديثها، ثم أغلق هاتفه تمامًا.

جلست ملك في غرفتها تبكي وتنتحب وهي في قمة التوتر.

هي لم تقترف أي خطأ تُحاسب عليه بهذا الشكل. لم تكن تصدق تسارع الأحداث هكذا...

أي رجل هذا؟

يعنفها متى يشاء، ويهجرها متى يشاء، ويقترب متى يشاء، ويعتبرها ملكية خاصة به ولا تجرؤ حتى على التحدث مع زميل في الشركة...

أو أن يكون هاتفها مشغولًا... دائمًا سيء الظن بها...

ماذا اقترفت؟ ولماذا يحاول أن يغير من شخصيتها ومظهرها بهذا الشكل؟

تذكرت لوهلة وهي تبكي خطيبته السابقة، فلقد سمعت اسمها من قبل من زميلتها منى. فنهضت من مكانها سريعًا وفتحت حاسوبها الشخصي وبحثت عن حساب مهاب على شبكة

الفيسبوك، وبحثت عن منشورات بتاريخ قديم وقت خطبته، وتوصلت إلى حساب خطيبته السابقة.

وما أن ظهر لها الحساب حتى شهقت بصرخة مكتومة من شدة الصدمة، وزادت حدة بكائها، فهو لا يحبها بالتأكيد. فخطيبته السابقة فتاة ذات شعر بني قصير ترتدي نفس ذوق الملابس التي يصر مهاب عليها في ارتدائها، ونفس النمط الذي يريدها عليه مهاب.

والغريب أنها قد أنهت خطبتها منذ أيام قليلة وأعلنت ذلك على حسابها.

لم تنم ملك هذا اليوم وأعياها التفكير... لم تجف دموعها طوال الليل. أيُعقل أن تكون تلك المشاعر التي أظهرها لها مزيفة إلى هذا الحد؟

هل عاشت كذبة كبرى مع شخص يريدها أن تتحول لشخص آخر؟

لم تذهب ملك إلى عملها في صباح اليوم التالي، رغم محاولة والدتها أن تعرف ماذا أصابها، لكنها تعللت بأنها مريضة. والغريب في الأمر أن مهاب لم يحادثها طيلة يومين كاملين، مما جعل قلبها كجدار تصدع من فرط الألم. كانت تسمع أنينه بين ضلوعها، فلم يكن حزنها عابرًا بل سكن أعمق نقطة في روحها، كغيمة سوداء لا تمطر بل أظلمت على كيانها للأبد.

وبينما هي شاردة طرقت سناء باب غرفة ملك ودخلت تواسيها في حزن على ما أصابها من شحوب، وأقنعتها بالذهاب للعمل في اليوم التالي.

فأشارت ملك بالإيجاب وجلست تتحدث مع سناء وتقُص عليها ما اكتشفته، وأنه لم يحادثها طيلة يومين، بل إنها حاولت الاتصال به ولم يجبها.

فهدأتها سناء وأكدت عليها بأنه يحبها، ولكن لكل رجل شخصيته التي تميزه عن الآخر. لعل تلك هي شخصيته... إنه رجل غيور. ولكن في الأخير هو يحبها... فاقتنعت بكلمات سناء ومنَّت نفسها بأنها ستعتذر منه غدًا، وتركتها سناء.

ونامت ملك من فرط الإعياء والإرهاق وهي تتمنى أن تكون كل أفكارها وهمًا.

الفصل الثالث

الخذلان

مرت الأيام والشهور وملك منغمسة في عملها بالشركة وتكتسب الخبرات، بل وتم تكريمها مرات عديدة ثم زيادة راتبها من قبل رئيس مجلس الإدارة "والد مهاب".

أما عن علاقتها بمهاب، فقد كانت غريبة حقًا؛ تارة يأخذها إلى أعالي السحاب ويرفرف قلبها من شدة السعادة، وتارة أخرى يتعمد تجاهلها ويغضب منها بلا مبرر أو يشك في إخلاصها له، ولا يسترضيه إلا مصالحتها له مرارًا وتكرارًا.

استيقظت ملك صباحًا كعادتها فوجدت والدتها مرتدية ملابسها ومتأهبة للخروج، فعقدت حاجبيها في دهشة:

ـ إلى أين يا أمي مبكرًا هكذا؟

نظرت إليها والدتها وقالت بنبرة يكسوها القلق:

ـ قامت معلمة حازم أخيكِ بالاتصال بي من المدرسة الثانوية وأكدت لي أنه لا يحضر إلى المدرسة منذ فترة وتنذرني بفصله إن لم ينتظم، وكما تعلمين أنه في الشهادة الثانوية ولا مجال للعبث.

نظرت إليها ملك في دهشة وقالت:

ـ سأذهب معكِ يا أمي، انتظريني لبضع دقائق.

ـ ولكنك سوف تتأخرين عن عملك يا ملك.

أجابتها ملك مسرعة:

ـ لدي بعض الوقت يا أمي، لن أتأخر.

ارتدت ملك ملابسها على عجل وذهبت مع والدتها إلى مدرسة حازم واتصلت به هاتفيًا ليلحق بهما إلى هناك، حيث قابلوا

المعلمة وعرفت ملك لأول مرة أن حازم لا يذهب إلى المدرسة. وحينما سألته، علمت أنه يعمل في أحد المحال ليساعد في نفقات دروسه دون علم الجميع. فقامت ملك بالاعتذار من مديرة المدرسة والمعلمة.

وفي أثناء عودتهم إلى المنزل نظرت لحازم وقالت:

ـ منذ متى يا حازم لم تعد تقص عليَّ أي شيء يخصك؟ فهل هذا هو اتفاقنا بأن نكون صديقين؟

ـ أعتذر يا ملك، ولكن نفقات دروسي زادت وأردت المساعدة لا أكثر حتى أوفر نفقاتي، فلقد أشفقْتُ عليكِ من التعب في العمل.

ابتسمت ملك وربتت على كتف أخيها:

ـ لا يا حازم، لا تقل ذلك، هذا واجبي. وكل ما أريده منك هو التفوق ودخول الجامعة حتى نعبر بسفينتنا إلى بر الأمان.

نظر إليها حازم قائلًا:

ـ أعدكِ يا أختي بعدم تكرار الغياب عن المدرسة مرة أخرى وسأتفوق وأحقق لكِ ولأمي أحلامكم جميعًا.

ضحكت ملك في سعادة:

ـ وأنا أنتظر ذلك يا عزيزي.

هبطت ملك من الحافلة لتلحق بعملها وتركتهم يستكملون الطريق للعودة للمنزل. وما إن وصلت حتى اتجهت ملك لمكتبها وبدأت في العمل على حاسوبها في الشركة، حتى رأت مهاب يمر من أمامها عبر الباب الزجاجي لمكتبها في اتجاهه لمكتبه.

نهضت على الفور متوجهة إليه وطرقت الباب وهي تتحدث إليه:

ـ هل تأذن لي بالدخول؟

نظر إليها مهاب بلا مبالاة واضحة:

ـ تفضلي بالدخول، ولكن لدي أعمال كثيرة اليوم.

ابتسمت ملك قائلة:

ـ أردت الاطمئنان عليك، بالأمس وأول أمس لم تجب على اتصالاتي، كما حاولت التواصل معك عبر حساب الماسنجر والواتساب ولم ترد برغم أنك كنت متصلًا.

نظر لها مهاب في غضب واضح على تعبير وجهه:

ـ هل تراقبينني يا ملك؟ أنا لست ملكًا لأحد مهما كان، فلدي أعمال أخرى ومسؤوليات عمل غيرك، ولي مطلق الحرية أن أرد على الهاتف متى شئت وكيفما شئت.

وقعت كلماته كالصاعقة على أذنيها وخفق قلبها بشدة وشعرت بالأرض تتزلزل تحت قدميها:

ـ لك ما شئت، أعتذر، اسمح لي بالانصراف.

لم يرد مهاب على كلماتها بالإيجاب أو بالرفض وتظاهر بالانشغال في هاتفه النقال.

شعرت ملك بالإحراج وتركت المكتب فورًا متجهة إلى مكتبها ودموعها تنساب على وجنتيها دون إرادة منها. تسارعت خطواتها، مما جعل "منى" تشاهدها فتبعتها للمكتب.

ـ ماذا بكِ يا ملك؟ أهناك خطب ما؟ رأيتك تخرجين من مكتب الأستاذ مهاب للتو وأنتِ تبكين.

نظرت إليها ملك وهي تمسح دموعها حتى تخفي انكسارها وكأنها لم تبكِ قط وقالت:

ـ أشكركِ يا منى على اهتمامكِ، ليس هناك شيء حقًا. كل ما في الأمر أنني أخفقت في مهمة طلبها مني الأستاذ مهاب فعنفني على ذلك، وها أنا سأعيد قراءة وإعادة الورق الخاص بالتعاقدات مرة أخرى حتى لا يغضب مني.

ناولتها منى منديلًا لتمسح دموعها وربتت بيديها على كتفها:

ـ لا عليكِ يا ملك، سوف أساعدكِ. لا أعلم سر تقلباته المزاجية هذه الأيام، برغم أن ذلك يأتي نقيضًا لما يقوله بعض موظفي الشركة عنه.

نظرت إليها ملك في فضول:

ـ وماذا يقولون يا منى؟

ـ يقولون إن علاقته بخطيبته السابقة عادت كما كانت من قبل وسيتم الإعلان عن خطبتهما قريبًا.

امتقع وجه ملك بالاصفرار وتركَت الشركة راكضة ودموعها تنهمر على وجنتيها كالسيل، وقلبها يئن من هول الصدمة ومرارتها...

في المساء آوت ملك إلى فراشها وهي تبكي بحرقة المظلوم، وقلبها مثقل بأسى الخذلان، كأن كل نبضة فيه تنوح من الألم بعدما

تكسر أملها على عتبات الخيبة وربطت بعض الأمور ببعضها...

هل لهذا يتهرب منها منذ فترة؟؟ ويتجنب مواجهتها والحديث معها والرد على اتصالاتها؟

أيُعقل أن ألم القلوب وكسرتها هين على البعض؟

ألا يخاف هؤلاء الناس من الله؟

ألا يهابون من جزاء الغدر والخذلان؟

أمسكت ملك بهاتفها وقررت مواجهته للمرة الأخيرة، واتصلت به على الفور، والغريب في الأمر أنه رد سريعًا قائلًا:

ـ أهلاً يا ملك.

ـ سأسالك سؤالًا يا مهاب ولن أزعجك مرة أخرى...

قاطعها متحدثًا:

ـ ما سمعتيه كان صحيحًا، وكنت سأحادثك في الأمر.

فنحن غير متوافقين.

شخصياتنا مختلفة، وقد حاولت مرارًا تغييرك للأفضل دون جدوى.

أجابته وهي تبكي بحرقة:

ـ تغيير؟؟ أي تغيير؟

ذوقي في الملابس؟ أم تغيير طريقة تصفيف شعري وقصه كي أكون هي؟

كي أذكرك بها!! لا أفهم حقًا ماذا فعلت؟

قل لي بربك لماذا دخلت حياتي وأنت تعلم جيدًا أن قلبك مع أخرى؟

ألا تخاف الله في كسر القلوب؟

ـ لا داعي للحديث بهذه الطريقة، فلننهيها بطريقة لائقة.

تأوهت من شدة البكاء:

ـ لائقة!! أي طريقة لائقة؟ قل لي بربك ماذا جنيت كي أشعر بهذا الشعور القاسي؟

عام كامل وأنت تخدعني بكلماتك المعسولة ووعودك الرنانة.

لم يُجبها مهاب ولكنه استدرك قائلًا:

ـ ملك، أرجوك، أنا لم أعدك بشيء مطلقًا، بل كان تعارفنا منطقيًا كأي طرفين يحاولان التفاهم، لكنني تيقنت أننا غير متوافقين.

عامة يا ملك، عليكِ التركيز أكثر في عملكِ بالشركة، فأنتِ تحتاجين إليه كثيرًا، أليس كذلك؟

شهقت ملك وأجابته في انكسار:

ـ عندك كل الحق يا مهاب بك، فالعمل أهم... وراتبي في الشركة أهم... من كسر قلبي وخذلاني...

أغلق مهاب خط الهاتف وملك مشدوهة لا تصدق أن ما حدث هذا حقيقي...

مرت ليالٍ كثيرة وهي تفكر في طريقة لإيجاد عمل آخر بعيدًا عن تلك الشركة التي تذكرها كم كانت حمقاء نقية... صدقت وآمنت وعشقت وكان الخذلان جزاؤها.

كانت في تلك الليالي تحدق في الفراغ بعينين غارقتين في صمت ثقيل، وقلبها الممزق ينبض بالكاد وكأن كل خفقة فيه تحمل ألمًا لا يحتمل.

شعرت بأن الكلمات التي وعدت بها تحولت إلى خناجر مزقت بقايا الأمل في داخلها.

الخذلان لم يكسرها فقط بل نزع عنها براءتها، وجعلها تشك في كل شيء، حتى بنفسها.

كانت تتنفس بصعوبة كأن الهواء أصبح أثقل من قدرتها على احتماله، فهي تشعر بأن قلبها صار كقصاصة ورق في مهب الريح...

كل ذرة فيها تصرخ في صمت، وكل نظرة من عينها تحكي الف ألم...

تهاوت بصمت المكسورين الذين لا يملكون إلا أن يبتلعوا مرارتهم ويكملوا طريقهم بأرواح أنهكها الفقد...

كانت ملك ترسل السيرة الذاتية الخاصة بها إلى أكثر من بريد إلكتروني لشركات داخل مصر وخارجها على أمل أن تجد وظيفة مناسبة تجعلها تترك الشركة وتمحو جميع ذكريات مهاب التي تركت أثرًا كالوشم الدائم على قلبها. وكانت تنتظر الردود من تلك الشركات، فهي لها خبرة لا بأس بها وخريجة بتفوق منقطع النظير...

وتذكرت الكارت الشخصي الخاص بأستاذ كاظم الضيف العربي التي حضرت معه غداء العمل...

فحادثته عبر الماسنجر...

وشرحت له احتياجها للعمل فطلب منها السيرة الذاتية الخاصة بها وشهاداتها وشهادة خبرتها وأن تنتظر منه الرد عبر البريد الإلكتروني.

وذات يوم فتحت حاسوبها الشخصي وهي بالمنزل فابتهجت أساريرها واتجهت لغرفة والدتها:

ـ أمي، لدي خبر جميل! كم أنا سعيدة اليوم.

نظرت إليها والدتها في دهشة وهي تطوي الملابس لوضعها في الخزانة:

ـ خير يا ملك، أخبريني ماذا حدث؟

اتجهت ملك نحوها وهي تحتضنها:

ـ كنت قد قدمت العديد من السير الذاتية الخاصة بي لأكثر من شركة وحادثت أستاذ كاظم الضيف العربي الذي كان في مصر في غداء العمل، وأخيرًا جاء رده عليّ يطلب مني السفر للمملكة العربية السعودية لمقابلة عمل.

اندهشت الأم ولم تبدُ عليها السعادة أبدًا:

ـ خارج مصر يا ملك؟ وهل أطيق أنا غيابك ولو يوم؟ ماذا دهاك يا ابنتي؟ أتتركينا هكذا؟ وحتى لو وافقت، وذلك لن يحدث، فأين لكِ بنفقات السفر؟

امتقع لون ملك واندهشت من رد فعل والدتها:

ـ يا أمي، أرجوكِ، فأنا في أشد الحاجة لهذه الوظيفة، أنتِ لا تعلمين ما أمر به... أنا أريد بناء مستقبلنا جميعًا، ولا تخافي،

فبمجرد أن أرتب أموري هناك سأستقدمكم فورًا ونعيش سويًا...

نظرت إليها والدتها وقالت:

ـ أنا سأموت هنا في بيتي... هذا بيتي لم أتركه يومًا منذ زواجي من والدك، هنا ذكرياتي وهنا عشت أسعد أيام حياتي...

نكّست ملك رأسها في يأس، ولكنها عزمت على ألا تفقد الأمل، فهي لا تطيق عملها الحالي الذي كانت تحبه في يوم من الأيام، ولكنها ستحاول مع أمها مجددًا... ولا تعلم ماذا يخبئ لها القدر.

الفصل الرابع

سفر وحياة

كان روتين ملك في حياتها كما هو، لا شيء جديد سوى الألم الروحي الذي كان يجدد نفسه بنفسه أولًا بأول كلما رأته في الشركة، أو كلما جاهر بحبه لخطيبته السابقة عبر حسابه على الفيسبوك بعد عودة الود بينهما.

كانت لا تنفك عن التفكير في كيفية ترك الشركة بدون خسائر، فهي تحتاج لراتبها كثيرًا، فهي مسؤولة عن أسرتها بالكامل.

ما إن جاءتها رسالة في البريد الإلكتروني حتى فتحتها، فوجدتها من كاظم يستعجلها بعمل المقابلة والسفر، وحدد لها موعدًا للمقابلة.

ولكنها قطبت حاجبيها في يأس... كيف لها أن تحصل على موافقة والدتها؟

وكيف لها بتدبير نفقات السفر؟

هل لو تركت الشركة وتدبرت أمرها وسافرت ولم تنجح في المقابلة، بذلك تكون قد خسرت كل شيء، عملها والنقود التي ستقترضها، وبذلك تصبح مدينة لغيرها بنفقات السفر في حالة أن لم تنجح المقابلة...

كاد رأسها أن ينفجر من كثرة التفكير، ولكنها عزمت على أن تقابل صديقتها سناء وتحكي لها عن كل ما يؤرقها، وسيجدان حلًا على الأغلب، فهي ثقة في عقل سناء ورجاحته.

انتهت ملك من الملفات التي أمامها وكانت ترتبها، في حين دخلت منى قائلة:

ـ حبيبتي ملك، لقد أنهيت ملفات المشروع الاستثماري، هل تودين أن أساعدك؟

نظرت إليها ملك في ارتياح:

ـ أشكرك يا منى، فلقد انتهيت حقًا من كافة ملفات المشروع الجديد.

نظرت إليها منى وقالت:

ـ أراكِ تتجنبين كل من في الشركة وتختلين بنفسك في مكتبك من أول مجيئك حتى انصرافك. أهناك خطب ما؟

أجابتها ملك:

ـ لا يا عزيزتي، ولكن يشغلني الكثير من الأمور، ولكن لا بأس بذلك... لم أقصد الاختلاء بنفسي، إنه انشغال بالعمل فحسب.

همهمت منى بغير فهم، متعجبة من الرد وانصرفت في هدوء.

شردت ملك للحظات...

وودت لو انهمرت في البكاء وقصت على منى كل ما يؤلمها، فهي تود حقًا أن تفضفض وتخرج مكنونات قلبها، ولكنها تخاف من الحديث وتلتزم الصمت.

وسرعان ما تذكرت سناء وموعدها... فأخذت حقيبتها وهمت بالانصراف.

وأثناء خروجها من مقر الشركة شاهدتهما معًا لأول مرة... سمعت الكثير، ولكنها تيقنت الآن أن تأثير السماع بالأذن أقل ضررًا من رؤية العين، في إحداث فوضى لنبضات القلب بأنين موجع.

كادت قدماها أن تتهاوى، ولكنها تمالكت وارتكزت بكلتا يديها على الحائط حتى لا تسقط. جففت دموعها وسارت بجانبهما في اتجاه الخروج في صمت.

ركبت ملك مترو الأنفاق المتجه لوسط البلد لتقابل سناء كما اتفقتا على ذلك، وما إن وصلت وقابلتها حتى احتضنتها وانفجرت في البكاء الهستيري.

إنها موجوعة حقًا، يكاد صدرها ينشق ويخرج منه القلب ممزقًا. حاولت سناء فهم ما حدث، فقَصّت عليها ملك ما يؤرقها وما يجول بخاطرها ومخاوفها.

قالت لها سناء:

ـ وفقًا للنقطة الأولى، فتركِ للعمل لا مفر منه، فأنتِ تموتين بالبطيء يا ملك، والنقطة الثانية والدتكِ وموافقتها، فلا تشغلي بالكِ، فوالدتي ستقوم بالمهمة لأجلكِ. لا تقلقي.

كادت ملك تقاطعها حتى أشارت لها سناء بعدم المقاطعة قائلة:

ـ ووفقًا للنقطة الثالثة، النفقات فحلها عندي. لدي إسورتان أهدتني أمي إياهما منذ فترة، وكما تعلمين عندما خطبت فاجأني

ياسين خطيبي بإسورة مع حُلي الخطبة، وكنت عازمة قبل الزواج إعادة الإسورتين لأمي، فهما لكِ منذ الآن. تدبري أمرك يا حلوتي.

ثم أكملت ممازحة:

ـ ولكني سأعيدهما بأسورتين من الخارج، فالذهب هناك له بريق مختلف. ستعيدينهما بالتأكيد.

قاطعتها ملك بالنفي:

ـ لا يا سناء، قصصت عليكِ لأرتاح ولنفكر سويًا، لا لتتحملي مسؤولية الحل وحدك.

أجابتها سناء في حنو:

ـ لو الأمر تم تبديله وكنت أنا في مكانك وعندك الحل، كنتِ ستتركينني أفكر ولو للحظة؟

أجابتها ملك:

ـ بالطبع لا.

ضحكت سناء قائلة:

ـ لستِ أكثر شهامة مني يا عزيزتي. هيا لنذهب إلى المنزل، وكما اتفقنا سارعي بتحديد موعد المقابلة واستخراج وثيقة السفر، واتركي موافقة والدتك لنا.

ارتاحت ملك بعض الشيء وسارت مع سناء في طريق العودة للمنزل وفي ذهنها بارقة أمل في الغد.

بالفعل تمكنت والدة سناء ووالدها من التأثير على والدة ملك وإقناعها بالموافقة على سفرها، ووعداها بأنهما سيتوليان أمر كل شيء، فوالد سناء له أقارب في ذلك البلد العربي، وأنه سيتمكن من التوصية عليها.

وفي هذه الأثناء أنجزت ملك وثيقة السفر بعدما اقترضت النقود من سناء في سرية.

تركت ملك جزءًا منها لوالدتها لتنفق على البيت في غيابها، وباعت أيضًا حاسوبها الشخصي، وحجزت بطاقات السفر، وبقي لها تقديم استقالتها في الشركة.

في اليوم التالي...

استيقظت ملك صباحًا وقامت بصلاة الاستخارة، وعزمت على تقديم استقالتها اليوم.

ارتدت ملابس أنيقة ووضعت مساحيق على غير العادة، زادتها جمالًا على جمالها، وذهبت للشركة. وما إن وصلت حتى سارت بخطى ثابتة نحو مكتب مهاب، وداخلها عاصفة من الخذلان والوجع، لكن وجهها لم يعكس شيئًا من ذلك، بل ارتسمت عليه ملامح الكبرياء والعزة.

كانت تمسك بطلب الاستقالة كما لو أنه سلاحها الأخير لتثأر لكرامتها ومشاعرها، وعزمت أن تضع حدًا لكسرتها. فلم تكن استقالتها ورقة تُقدَّم، بل كانت إعلانًا صامتًا عن انتصار روح أنهكت وخُذِلت.

وضعت ملك الورقة على مكتبه دون تردد وقالت ببرود مصطنع:

ـ هذه استقالتي، وأظنك تعلم جيدًا السبب.

رفع نظره إليها في دهشة:

ـ ما هذا الهراء يا ملك؟ أنا لم أطلب منكِ ترك الشركة.

أجابته بنبرة هادئة تخفي وراءها براكين من الجروح الغائرة:

ـ حين يُطعَن القلب ممن كان الأمان، لا حاجة للكلمات... الكرامة وحدها تتحدث.

نظر إليها بحدة:

ـ كانت علاقتنا لطيفة هادئة كأي شخصين، ولكننا لم نُوفَّق. تيقنت أننا مختلفان، ولم أركِ مناسبة لي حينها، فما الذي اقترفته؟

قاطعته بثبات:

ـ كنتُ أحسن الظن وأضع لك الأعذار، وهذا كان خطئي الوحيد. قل لي، كيف تقتحمون القلوب أيها معشر الرجال بدم بارد، ثم تتركونها وقد مزقتموها إربًا؟

ألم تفكر بأنني غير مناسبة قبل اقتحامك أسوار حياتي؟ لا أريد الإجابة...

فقط أرجو منك التوقيع على الاستقالة، فلا داعي للمناقشة.

تركت له الاستقالة على مكتبه ثم استدارت مغادرة دون أن تلتفت. فقط كانت خطواتها تقول كل شيء.

وما إن خرجت من الشركة حتى شعرت وكأنها تحررت من قيد طالما كبَّل روحها.

كان الهواء خارج الشركة مختلفًا، نقيًا على غير العادة، كأنه يبارك قرارها. وكانت الاستقالة طوق نجاة لروحها من غرق طال، وتخلصت من عبء خذلان أرهق كاهلها.

سارت باتجاه مكتب وثائق السفر لاستلام وثيقة سفرها بثقة، وداخلها يقين أنها لن تعود كما كانت، وأنها ستخلق من ضعفها قوة، ومن وجعها عزيمة.

قررت أن تبدأ من جديد امرأة أقوى لا تُكسَر... لا تُقيَّد... لا تُخذَل.

لقد انتهى فصل الخذلان، وسيبدأ فصل حكايتها الجديد مع النجاح والعمل والمثابرة لتحقيق أحلامها.

سافرت ملك مودعة والدتها وإخوتها وصديقتيها سناء ومنى، تاركة خلفها ذكريات وآمال تمزقت على عتبات مهاب، حتى وصلت إلى مطار جدة الدولي. كان في استقبالها شاب هندي الجنسية تحدث معها بالإنجليزية الضعيفة، وعرفها بنفسه بأنه السائق الخاص بالشركة، وقد أرسله رئيس قسم التحليل المالي بالمؤسسة الكبرى التي ستعمل بها في ذلك القسم تحديداً في حالة قبولها وتخطيها المقابلة.

كانت قد تواصلت معه شخصياً عبر وسيلة التواصل "واتساب" للاتفاق على موعد المقابلة بعد إرسالها السيرة الذاتية الخاصة بها لأستاذ كاظم عبر بريد الشركة الإلكتروني.

كانت ملك تنظر بشغف من نافذة السيارة على الطرق وتشاهد كل شيء، وعقلها لا يهدأ من التفكير: ماذا بعد؟ ماذا بعد؟

ما إن وصلت حتى تركت حقائبها خارجاً ودخلت المكتب الخاص بالأستاذ ماجد، رئيس قسم التحليل المالي للمؤسسة.

كان شاباً سعودياً في الثلاثينات من عمره، قمحي البشرة، أنيقاً، يفوح منه عطر شرقي أخاذ.

رحب ماجد بملك وأثنى على شهادتها وسيرتها الذاتية الممتلئة، وقدم لها القهوة مع التمر السعودي، وطلب منها الاستراحة للحظات حتى ينتهي الأستاذ كاظم، رئيس مجلس الإدارة، من اجتماعه، حتى يتسنى لها مقابلته وعرض سيرتها الذاتية والإجابة على تساؤلات المقابلة.

وبعد بضع دقائق، دعاها الأستاذ ماجد لمقابلة السيد كاظم، رئيس مجلس الإدارة للمؤسسة. دخلت ملك مكتبه، هو رجل في أوائل الأربعين من عمره، ومكتبه فخم وأنيق.

أجلسها الأستاذ كاظم أمامه ورحب بها مجدداً، وذكرها بانبهاره بشخصيتها وتفوقها وخبرتها يوم غداء العمل بالفندق.

شكرته ملك على إتاحة الفرصة لها، فنظر إليها كاظم بعينين فاحصتين، ثم ابتسم قائلاً:

ـ مرحباً بكِ يا ملك بيننا، فلنبدأ...

دعيني أبدأ بسؤالكِ: بما أنكِ متخرجة من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية قسم اقتصاد دولي، كيف يمكنكِ المساهمة في تحقيق رؤية مؤسستنا الاقتصادية المستقبلية؟

أجابته ملك بكل تركيز وثقة:

ـ بالطبع سأبدأ بالتحليل العميق للأسواق المحلية والدولية التي تؤثر على استراتيجيتنا من خلال تحليل الاتجاهات الاقتصادية، وبذلك يمكننا التنبؤ بالفرص. إضافة إلى ذلك، سأعمل على تعزيز العلاقات مع الجهات الحكومية والمؤسسات المالية بما يضمن تحقيق التنمية المستدامة وتحقيق أكبر استفادة من الموارد المتاحة. وفي ظل العولمة الاقتصادية، أصبح الوضع يسيراً.

ارتفع حاجبا كاظم ونظر لماجد بدهشة من سرعتها بالإجابة وثقتها بنفسها، وحاول أن يكون السؤال التالي أكثر صعوبة وتعقيداً، فقال لها:

ـ مثير للاهتمام حقاً، ولكن ما هي نظرتكِ حول كيفية تحسين إدارة المخاطر الاقتصادية في ظل الأزمات العالمية الحالية؟

أجابت ملك بجدية:

ـ في ظل الأزمات العالمية يجب أن يكون لدينا استراتيجيات مرنة وموثوقة لإدارة المخاطر. ويمكننا تقليل المخاطر من خلال تنويع مصادر الإيرادات وتبني حلول مبتكرة تساعد على التكيف مع التغيرات. كما أن التحليل الدقيق للمخاطر الجيوسياسية والاقتصادية سيساعدنا على اتخاذ قرارات صائبة تضمن استدامة المشروعات في ظل الظروف المتقلبة.

ابتسم كاظم بإعجاب:

ـ أعتقد أنكِ تملكين المهارات التي نبحث عنها، سنكون سعداء بانضمامكِ إلينا.

شعرت ملك بالراحة وقالت:

ـ أنا متحمسة جداً لانضمامي إلى فريق العمل معكم لتحقيق أهداف الشركة.

صافحها كاظم متمنياً لها التوفيق، وأذن لماجد بأن يأخذها لقسم الحسابات والعقود لعرض كل ما يخص الراتب وعقد العمل بما يضمن لها كافة حقوقها. وذكرها أن العمل يكفل لها المسكن والمواصلات فقط، ولها إجازة عودة لبلدها شهر في السنة حسب حاجة العمل.

شكرته ملك وذهبت مع ماجد لإنهاء العقد والذهاب للمسكن للراحة، فهي مرهقة حقاً من جراء السفر.

الفصل الخامس

صديق.. ولكن

بعد انتهاء ملك من توقيع العقد، قام ماجد بإنهاء كل الإجراءات من أجلها وقام بتوصيلها للمسكن الخاص بالشركة.

فوجدت أنه مشترك، وتعرفت على شريكتها بالسكن "أمينة"، فتاة مصرية من محافظة المنوفية، على قدر عالٍ من الجمال والأناقة.

وبنبرة هادئة رحبت بها أمينة وأكدت عليها أنها في خدمتها لو احتاجت أي شيء، وأنها لن تشعر بالغربة مطلقاً وستكون بمثابة أخت لها.

فشكرتها ملك قائلة:

ـ أشكرك يا أمينة، أنتِ ستكونين بمثابة أختي. أيضاً، أعدك بذلك.

أجابتها أمينة بحماس:

ـ أنا متحمسة للغاية، وإن شاء الله ترتاحين معي في المنزل ونكون أختين وصديقتين حميمتين.

ـ وأنا أيضاً متحمسة وسأعتمد عليكِ أن تكوني القائدة لي وتريني كل معالم هذا البلد الجميل.

ـ بالطبع يا عزيزتي، سنرتب لذلك برنامجاً وسيساعدنا الأستاذ ماجد، فهو أخ وصديق غالٍ لنا جميعاً كموظفين في الشركة.

ـ شعرت بذلك، فهو لم يتوانَ لحظة عن مساعدتي.

ابتسمت أمينة لها وجعلتها ترى غرفتها في السكن، ودعتها للراحة، فهي مرهقة بالطبع جراء السفر.

مرت الشهور...

وملك في غاية النشاط لتثبت نفسها في المؤسسة، وتعمل بكدّ وجهد ملحوظين لكاظم رئيس مجلس الإدارة وماجد رئيس القسم.

وعندما حصلت على أول راتب قررت شراء هدايا وإرسال نقود لأسرتها، واشترت أسورتين أجمل وأثقل وزناً لسناء لتعوضها وقفتها بجانبها، وأرسلتهم مع صديق بالعمل كان ينوي الذهاب في إجازة للوطن.

كانت ملك تداوم على إرسال نفقات لأسرتها تكفيهم وتزيد.

أما عن الأستاذ ماجد، فكان نعم الأخ والصديق في غربتها، دائماً التواجد عند الحاجة إليه، لم ترَ في شهامته ورجولته مثيلاً، إلى أن أصبحا صديقين مقربين.

مضت شهور أخرى...

وصداقتهما تزداد يوماً بعد يوم. وفي يوم، وأثناء العمل، دخل ماجد لموظفي قسم التحليل المالي الذي يرأسه، وتوجه إلى ملك تحديداً ونظر إليها قائلاً:

ـ أرى أن تكفي عن العمل يا ملك، فلقد أرهقتِ نفسكِ كثيراً، فموظفو الشركة قد انصرفوا ولم يبقَ بالقسم سواكِ.

نظرت ملك إليه وهي في قمة الإرهاق:

ـ لم أنتبه أبداً للوقت يا ماجد، ولكنني أنجزت العديد من التقارير وكتبت لك تقريراً به بعض الأفكار أقترحها عليك، لو وافقتَ فسيتم عرضها بعد ذلك على الأستاذ كاظم، فأنا أظن أنها سيكون لها أثر رائع على الشركة.

قال لها ماجد:

ـ على الرحب والسعة، سأدرسها بالتأكيد، ولكن هيا اجمعي أشيائكِ لأوصلكِ. ولكن اسمحي لي بأن نتناول طعام الغداء سوياً اليوم، فلدينا الكثير نتحدث عنه.

ابتسمت ملك ونظرت له في ارتياح:

ـ فأنت بعد انتهاء وقت العمل صديقي وليس رئيسي، ولكن بشرط أن أقوم أنا بهذه العزيمة.

ضحك ماجد:

ـ أرى أن صديقتي تستعرض نفسها براتبها الكبير، ولكن يا صديقتي الغالية معكِ رجل لن يسمح بذلك، والعزيمة عليّ أنا.

أجابته ملك مداعبة:

ـ حسناً، حسناً، لا تغضب يا صديقي، فلنذهب.

ذهب كل من ماجد وملك لمطعم قريب من السكن الخاص بها، وبينما هم يتناولون طعام الغداء تجاذبوا أطراف الحديث. وطرح ماجد على ملك سؤالاً فضولياً قائلاً:

ـ في المرة السابقة قلتِ أنكِ ستقصين عليّ قصة مهاب وكيف انتهى بكم المطاف للانفصال عاطفياً.

نظرت إليه ملك في انكسار:

ـ نستكمل الطعام، وبعد تناول القهوة سأقص عليك تفصيلياً. ولو أنني لا أحب ذكر هذا الموضوع، ولكنك بالفعل أصبحت صديقاً مقرباً وأخاً غالياً، فشكراً لك على ما قدمته لي خلال الشهور الماضية.

ساعدتني كثيراً، وقفت بجانبي، وذللت كل الصعاب والعقبات التي واجهتني، وعرفتني على هذا البلد الجميل الشقيق، ولم أشعر للحظة أنني غريبة. كنت السند الذي احتجته في غربتي،

خففت عليّ تلك الغربة بكلماتك ومواقفك قبل أفعالك. صداقتك لي جعلت هذه الأرض وطناً ثانياً لي، ونزعت عن قلبي وحشة الغربة.

ابتسم ماجد وعيناه تمتلئان بالود، وقال:

ـ أنتِ تستحقين كل ذلك يا ملك وأكثر. لكفاءتكِ وخلقكِ الحميد، أنتِ شرفتِني بصداقتكِ.

فالصداقة الحقيقية لا تقاس بالمسافات ولا بالأوقات، بل بالمواقف التي تظهر معدن الإنسان. أنتِ في مقام أخت عزيزة، وكان واجبي أن أقف إلى جانبكِ كما يقف الأخ لأخته والصديق لصديقه.

الغربة قاسية، ولكنني أعدكِ لن أدعكِ تخوضينها وحدكِ، ولن أخلف وعدي أبداً.

واستكمل حديثه مداعباً إياها:

ـ وضيفي لحديثكِ أنكِ علمتِني كثيراً من الكلمات المصرية وبعض اللهجات المصرية الجميلة.

انتهى كل منهما من تناول الطعام، وأثناء تناول القهوة، قصت ملك عليه حكايتها مع مهاب، وكيف كانت النهاية مؤلمة. فتأثر ماجد لحديثها.

نظر إليها مصوبًا عيناه بعينيها مباشرة:

ـ شخص كهذا، يا عزيزتي، لا تحزني عليه، بل اسعدي لأن الله كشف كذبه وخداعه لكِ قبل فوات الأوان.

أما هو، فهو الخاسر بالتأكيد لأنه خسر قلبًا حنونًا وإنسانة صادقة محترمة ومجتهدة ناجحة، معتزة بنفسها، والعديد من الخصال الجميلة فيكِ، ويشهد الله أنها ليست مجاملة.

توردت وجنتاها خجلًا وقالت:

ـ أشكرك يا ماجد، فلست أعلم ما كان سيحل بي لو لم تكن موجودًا. أشكر الله كثيرًا بأن جعلك وأمينة شريكتي في السكن بجانبي.

فنظر إليها مبتسمًا:

ـ أنا بجوارك دائمًا، أعدك بذلك.

وبعد ساعات هموا بالانصراف وهم يستكملون حديثهم.

كانت ملك تشعر بارتياح شديد وانجذاب لشخصيته كثيرًا، ولكن بداخلها خوف من الاقتراب أكثر. كانت تخاف كثيرًا على قلبها ولا تريد أن تكرر خطأها السابق.

لكن شيئًا بداخلها ينجذب ويرفض تلك الحدود بشدة، وعاشت وقتًا كبيرًا في هذا الصراع بين العقل والقلب.

كان الخذلان القديم يطاردها كظل لا يفارقها، يزرع الخوف في صدرها كلما لاحت لها ملامح التعلق بماجد. ورغم حذرها، كانت منجذبة إليه بقوة لا تقوى على مقاومتها، وكأن شيئًا خفيًا يسحبها نحوه، يبدد حذرها ويشعل في قلبها نارًا تخافها كثيرًا.

ولكنها كانت قد قررت سابقًا أن تحيط قلبها بأسوار عالية وتبني بينها وبينه مسافة آمنة تحمي بها كرامتها وأحلامها، إلا أن وجوده أربك كل حساباتها.

مضت أيام أخرى...

وتقاربهما يزداد أكثر فأكثر كصديقين، وكان ماجد مبتهجًا، منجذبًا لها كمغناطيس قوي. شيء ما يربطه بها، هناك شيء خفي يجعله منتشيًا وهو بالقرب منها، لا يطيق الابتعاد. يريد التواجد بقربها والحديث معها، ما ينفك أن ينتهي عمله حتى يسارع بالهرولة إلى مكتبها ليقص عليها كل ما مر به يومه.

اختلى ماجد بنفسه متسائلًا:

ـ هل هذا هو الحب؟

وبحسب معلوماته عن الحب، فهو يشعر بما هو أكبر من الحب تجاهها. إنه عشق لا محالة، وأدرك أنه مغرم بتلك الفتاة حتى أذنيه.

فكر مليًا في كيفية الإفصاح عن حبه تجاهها وهي تعاني من خذلان سابق.

خاف أن تأخذه بذنب غيره، أن يدفع ثمن وجبة الخذلان التي قدمها لها مهاب من قبل، فيخسرها. فحبها نما في قلبه كما تنمو الأشجار في باطن الأرض قبل أن تمتد نحو السماء.

كان يراها أمامه تتألق بقوة إنجازاتها وتخفي خلف ابتسامتها وجعًا لا يراه الكثيرون ممن هم حولها، لكنه يشعر به.

يريد أن يبوح لها بما يثقل صدره، ولكنه يخشى أن يضيف إلى قلبها جرحًا آخر، أن يخسرها لو لمحت في عينيه شيئًا من ذلك الحب الذي لم يعد يستطيع أن يخبئه.

كان يعلم أنها ذاقت من قبل خذلانًا قاسيًا، وأن كلمة حب منه لها لا يعلم مدى تأثيرها، وفكرة فقدانها مؤلمة بالتأكيد.

أما ملك، فكانت تعاني من نفس الأمر، وفكرت في وضع حدود وأسوار لقلبها، ولكنها خافت من فقدانه وخسارته.

وأيضًا تخاف من القرب أكثر، فقلبها لا يحتمل ألمًا آخر، وروحها لا تحتمل خذلانًا آخر.

لكنها تركت كل همومها لله، متضرعة له تعالى أن يدلها على الطريق.

الفصل السادس

حين خذلان التقيتك

عادت ملك للسكن بعد يوم طويل بالعمل، وكانت مرهقة للغاية. إنها حقًا تتفانى في عملها وتتقنه على أكمل وجه...

وارتمت على سريرها من فرط الألم الجسدي والنفسي، فهي تشعر بالحنين لوالدتها وإخوتها وصديقتها سناء، وتعاني من ألم الخذلان. لم تعد تحب مهاب، ولكن هناك شروخ بالنفس لا يمكن تجاهلها...

فاعتدلت وأمسكت هاتفها، اتصلت بوالدتها عبر الفيديو "الماسنجر"، فهي تشتاق لحضنها كثيرًا. وما إن ظهرت أمها حتى انتفض قلبها فرحًا:

ـ أمي، أفتقدك كثيرًا، كيف حالك وحال إخوتي؟

ابتسمت والدتها لرؤيتها وقالت، وهي يبدو عليها الإعياء الشديد:

ـ أنا أيضًا أفتقدك، يا نبض قلب أمك.

اندهشت ملك لملامح أمها والاصفرار الذي يعتلي وجهها وقالت:

ـ أمي، أبكي خطب ما؟ أأنت مريضة، يا نور عيني؟

نظرت إليها الأم نظرة حزن:

ـ لا يا عزيزتي، إنه مرض السكري كما تعلمين، ولكن سكري بالدم مرتفع هذه الأيام دون سبب واضح. لا تقلقي، فأنا بخير يا حبيبتي.

قطبت ملك حاجبيها في حزن:

ـ يا أمي، ألم نتفق بأن تذهبي للطبيب؟ هل نفذت النقود؟ قولي لي وسأرسل لكِ حوالة أخرى فورًا.

ـ لا يا عزيزتي، فأنتِ ترسلين لنا ما يكفينا ويزيد، يا حبيبتي. أنا فقط أتناول أدويتي، ولا داعي للذهاب للطبيب.

غضبت ملك من والدتها خوفًا عليها وأجابتها:

ـ أتوّسل إليكِ، يا نور العين ونبض القلب، أن تفعلي ما أترجاه منكِ. حافظي على صحتك واذهبي للطبيب، وللعلم سأتصل بسناء لتأخذك بنفسها أو حازم يذهب معك.

أجابتها أمها:

ـ حسنًا، يا صغيرتي، سأذهب.

ـ أمي، ألَا زلتِ تصنعين الحلوى للزبائن وترهقين نفسكِ؟

ـ لا يا صغيرتي، أنا على عهدي معكِ، لقد وعدتكِ وأنا أفي بوعودي.

وهنا ابتسمت ملك لوالدتها وقالت لها:

ـ لو أصغيتِ إلى كلامي وذهبتِ إلى الطبيب، سوف أحجز لكِ عمرة قريبًا، إن شاء الله.

تهللت أسارير والدتها وقالت في لهفة:

ـ ما شاء الله... الله أكبر... الله أكبر... قادمة إليك، يا حبيبي يا رسول الله.

ضحكت ملك في سعادة لردة فعل والدتها:

ـ حسنًا، فلقد اتفقنا.

وهنا تدخل حازم ومروة مداعبين إياها، وتجاذبوا أطراف الحديث لساعة كاملة يتسامرون. وأكدت ملك على حازم بضرورة الذهاب مع والدته للطبيب، فوعدها بذلك.

وحين شعرت بالنعاس، استأذنتهم وأنهت الاتصال وراحت في نوم عميق.

استيقظت ملك وقلبها غير مطمئن لعدم اهتمام والدتها بصحتها، وأوصت عليها سناء وحازم ومروة كثيرًا...

مر شهران، ووقت ملك مقسم بين عملها ومحادثة والدتها وإخوتها وسناء يوميًا بشكل مرئي عبر وسائل التواصل، ومع ماجد وأمينة بعد وقت العمل. تأخذ بمشورتهم ويذهبون للتنزه ورؤية معالم مدينة جدة... أو كما يسمونها "عروس البحر الأحمر".

وهي مدينة ساحلية سياحية جميلة حقًا. فزارت قصر نصيف، وذهبت هي وأمينة للمساجد التاريخية مثل مسجد الشافعي ومسجد عثمان بن عفان، وأخذهما ماجد لرؤية "نافورة الملك فهد" و"فقيه أكواريوم" وغيرها من الأماكن التي سعدت ملك بزيارتها وشراء الهدايا التذكارية لها ولأسرتها.

ذات يوم، وبينما ملك غارقة حتى أذنيها في العمل، اتصلت سناء بماجد لأن ملك أعطت لها رقم هاتفه مسبقًا وقالت لها:

حادثيه لو حدث شيء طارئ. اندهش ماجد عندما وجد رقمًا مصريًا على هاتفه وقام بالرد:

ـ هلا، من معي؟

ـ أنا سناء يا أستاذ ماجد، صديقة ملك وجارتها.

ـ هلا وغلا، أخت سناء، أهلًا بكِ. أتودين أن أوصلك بملك؟ لعل هاتفها غير متصل بالشبكة.

علا صوت سناء في ارتباك:

ـ لا، لا، أردت الحديث معك أنت.

ـ خيرًا أختي، ما بكِ؟

ـ لدي خبر غير سار، وخائفة من رد فعل ملك.

ـ تفضلي أختاه، أسمعك، خيرًا.

ـ كيف سأخبر ملك؟ أنا خائفة. فقد توفيت والدتها.

أجابها في حزن:

ـ إنا لله وإنا إليه راجعون. أنا سأخبرها، ولكن من فضلك أرسلي لي رقم حساب بنكي حالًا. سأرسل لك نقودًا في الحال لما يلزم لجنازة والدتها ولإخوة ملك، وسأحاول إخبارها وحجز تذكرة للسفر. لا تقلقي، سأتصرف.

أكملت سناء حديثها باكية:

ـ شكرًا لك، أخي، فأبي سيتحمل كافة النفقات. كل ما أريده هو إبلاغها بلطف وهدوء.

قال لها مقاطعًا:

ـ أختاه، افعلي ما أطلبه منكِ، أرسلي لي رقم الحساب فورًا.

ـ حسنًا يا أخي، كما تريد. سأرسله إليك عبر الواتساب بعد قليل.

فكر ماجد مليًا ماذا يفعل في موقف كهذا؟

وأرسل نقودًا لسناء كي تتصرف، وقام بحجز تذكرتين لمصر، فهو لن يتركها تذهب بمفردها أبدًا وسيساندها في محنتها.

وبعد انتهاء العمل، قام ماجد بإخبارها بهدوء، فلم تتمالك نفسها وانفجرت بالبكاء والنحيب.

أتت أمينة مهرولة بعد أن هاتفها ماجد، وقاموا بتهدئتها والتفكير في الخطوات القادمة، حيث قامت أمينة بحزم حقيبة سفرها وأحضرتها معها.

قضت ملك اليوم في بكاء ونحيب متواصلين غير مصدقة ما حدث. وأخبرها ماجد بأنها ستسافر فجرًا لتصل القاهرة صباحًا للحاق بالمقابر ولتكون في مراسم دفن والدتها.

لم تكن تعلم أن ماجد أيضًا سيسافر معها. ومع قرب موعد السفر، ركبت ملك السيارة ليوصلها ماجد إلى المطار للعودة للوطن لتودع والدتها لمثواها الأخير.

كانت ملك تشعر بالضياع واليتم مجددًا ولا تكف عن البكاء. وما إن وصلا حتى أنزل ماجد حقيبتها وحقيبة أخرى.

فنظرت ملك للحقائب باكية قائلة:

ـ الحقيبة السوداء الأخرى ليست حقيبتي.

نظر إليها ماجد وهو يناولها منديلًا لتجفف دموعها:

ـ هذه حقيبتي يا ملك. لن أتركك تسافرين وحدك أبدًا.

نظرت إليه متعجبة:

ـ ماذا تقول؟ والعمل بالشركة؟ وماذا سأقول لباقي عائلتي عن هويتك؟ أنا أقدر وجودك حقًا ولكن...

قاطعها ماجد:

ـ أما عن عملي بالشركة فلقد أخذت إجازة لكلينا، وأما عن الأسئلة فاتركيها لي. أنا سأشرح كل شيء وأجيب على

التساؤلات. لا تشغلي بالك بهذه الأشياء، وكوني على يقين بأنني لن أتركك، فأرجو منكِ ألا تحاولي في هذا.

استسلمت ملك في هدوء وقالت له في حزن بالغ:

ـ كما تريد، ولكن هيا لننهي إجراءات السفر.

وصلت ملك بصحبة ماجد إلى أرض الوطن واستقلت سيارة خاصة، وتوجهت إلى المقابر مباشرة لتلقي نظرة الوداع الأخيرة على والدتها وهي في قمة الانهيار والانكسار. ولم يتركها ماجد للحظة.

وقفت ملك عند حافة القبر وعيناها تفيضان بالدموع، كأنما رحيل أمها قد اقتلع شيئًا من روحها.

كانت الأرض تتزلزل من تحتها كأنما تأبى أن تحمل حزنها. بكت بوجه شاحب كضوء شمس خافت في يوم شتاء عاصف.

تابعت دفن الجسد المسجى في الكفن الأبيض وهمست بكلمات لم يسمعها أحد سوى قلبها المكسور ورب السماء.

وحين أهيل التراب على والدتها، شعرت وكأن الحياة تسحب منها شيئًا فشيئًا.

كان صمتها أبلغ من كل صراخ، ودموعها تمطر على وجنتيها دون توقف، كأنها تحاول أن تغسل بها ألم الفقد.

وتمنت لو أن الوقت عاد بها للحظة لتقول لها كم تحبها، ولكانت حققت حلمها بأداء مناسك العمرة.

بعد تلقي العزاء، تعرف ماجد على عائلتها وأعمامها بصفته رئيسها بالعمل، وطلب من عمها رقمه للتواصل معه بشأن موضوع ما بعد انتهاء فترة الحداد على والدتها.

مر أسبوع الحداد الأول سريعًا، وقلب ملك ينفطر حزنًا على أمها، وإخوتها كذلك. لكن ماذا ستفعل؟ أستترك مستقبلها بعد

ما بدأت بتحقيق جزء منه وتبقى مع إخوتها؟ أم تتركهم بمفردهم وتسافر؟

اجتمعت ملك بسناء وماجد لأخذ رأيهم في هذه المسألة.

فرد عليها ماجد:

ـ أقترح يا ملك أن تسافري لأننا تجاوزنا مدة الإجازة وعلينا العودة سريعًا للعمل. وفي نفس الوقت نحاول إيجاد سكن مناسب لإخوتك لكي يجتمعوا معًا وننقل أوراقهم للخارج. ويستطيع عمك بحكم صلة القرابة أن يقوم بذلك وينتقل إخوتك للإقامة معك في بلدك الثاني، السعودية.

قاطعته سناء:

ـ ولو أن هذا الاقتراح معناه أن بعدك عني يا ملك سيطول كثيرًا، ولكنني أؤيد ماجد بشدة لأن مستقبلك مهم وراتبك هناك كبير.

هزت ملك رأسها بالموافقة، ولكن عليها أخذ رأي إخوتها في هذا الموضوع.

في اليوم التالي،

تحدثت ملك مع إخوتها وأكدوا لها موافقتهم على العيش بالخارج من أجل مستقبلها، وأن عليها السفر. ورأى حازم، أخيها، أن امتحانات الثانوية العامة قريبة، وبعد الانتهاء منها يمكنه أن يدخل الجامعة عندها.

ودعت ملك إخوتها وسناء على أمل اللقاء قريبًا، وعلى أن يقوم عمها بعد امتحانات الثانوية العامة بنقل أوراق حازم ومروة وإرسال الملفات إليها لتقديمها للمدارس والجامعات بالخارج.

سافرت ملك مع ماجد الذي لم يتركها أبدًا. وبرغم حزنها، كانت سعيدة بتواجده قربها، وبشهامته ورجولته ووقوفه معها في محنتها.

وبعد مرور شهرين،

سعدت ملك بنجاح أخيها وحصوله على مجموع عالٍ، ونجاح أختها أيضًا. وبدأت مع ماجد بترتيب سكن لها ولإخوتها، برغم حزن أمينة لأنها ستتركها ولن تشاركها السكن بعد الآن. أنهت ملك إجراءات نقل إخوتها تعليميًا.

وفي يوم آخر، كانت الشمس تميل إلى الغروب حين وقفت ملك أمام المنزل الجديد، وبجوارها ماجد يحمل بعض الأغراض.

نظرت حولها في صمت تتأمل الجدران الخالية...

التي ستحتضن ما تبقى من عائلتها الصغيرة.

شعور غريب اختلط بداخلها... مزيج من الحزن والمسؤولية، من الفقد والبداية الجديدة.

قالت بصوت منخفض:

ـ هنا سيعيش إخوتي... يجب أن يشعروا بالأمان، أن يجدوا شيئًا من دفء أمنا، حتى وإن رحلت.

أومأ ماجد برأسه وقال بلطف:

ـ سنجهز كل شيء معًا، لا تقلقي، هذه بداية جديدة لكِ ولهم.

دخلت ملك إحدى الغرف ومررت يدها على الجدران كأنها تطمئنها، ثم تمتمت:

ـ سأكون الأم والأخت... سأحاول أن أملأ الفراغ، حتى لا يشعروا بالوحدة والغربة.

كان صوتها يحمل وجعًا صامتًا لكنه ممتزج بعزيمة لا تلين. وماجد، وهو يراقبها، أدرك حينها أنها رغم الحزن أقوى مما تبدو.

وقفت ملك في بهو مطار جدة، تنظر نحو بوابة الوصول بعينين تملؤهما الترقب والشوق. وإلى جوارها كان ماجد يطمئنها بهدوء.

وما هي إلا لحظات حتى خرج كل من حازم ومروة من البوابة يحملون حقائبهم بعد استلامها، وملامح الغربة والترقب مرتسمتان على وجوههم.

هرعت إليهم ملك واحتضنتهم واحدًا تلو الآخر، والدموع تنساب على وجنتيها بصمت مؤثر، كأنها تعوضهم ألم الفقد ووحشة الفراق.

قالت لهم بصوت متهدج:

ـ الحمد لله على سلامتكم... البيت الجديد في انتظاركم، والحياة ستعود أجمل بوجودكم.

ابتسم ماجد وهو يحمل بعض الحقائب عنهم:

ـ هلا بكم جميعًا، اعتبروا أنفسكم بين أهلكم... لن ينقصكم شيء إن شاء الله.

شكرته ملك بنظرة ممتنة، ثم سارت معهم نحو الخارج وقد امتلأ قلبها بشيء من السكينة.

استقبلتهما ملك في المنزل الجديد بترحاب وشوق.

فمنذ الآن هي أمهم والمسؤولة عنهم، وقررت ملك أن تعوضهم اليتم والحرمان لفقدان الأم والأب معًا.

قررت أن تكرس حياتها لهما بالكامل.

وذات يوم، بينما ملك تطهو الطعام لإخوتها في المنزل بمساعدة أمينة، حتى اتصل بها عمها عبر وسائل التواصل.

فأجابت على الفور:

ـ مرحبا عمي الغالي، افتقدك كثيرًا.

ـ وأنتِ أيضًا يا ملك، أدعو لكِ بالتوفيق دائمًا. لو أنني مقتدر ماديًا لما كنت سأتركك في الغربة أنتِ وإخوتك.

ـ أعرف ذلك يا عمي، وأنت بمثابة أبي، وأرجو من الله أن يرزقك ويوفقك لما يحب ويرضى.

ـ هناك موضوعًا هامًا أود أن نتحدث فيه سويا يا ملك.

ـ كلي أذان صاغية يا عمي.

ـ رئيسك في العمل، أستاذ ماجد، تواصل معي وطلبك للزواج، فما ردك؟

تفاجأت ملك من حديث عمها وشردت وهي تحادثه:

ـ لماذا لم يفاتحها ماجد في الأمر؟

واستطردت قائلة:

ـ أستاذ ماجد شخص رائع يا عمي، ولكنني الآن لست وحدي. ربما قال لك هذا في لحظة تأثر بوفاة والدتي، ولكن الأمر اختلف حقًا. فالآن من سيتزوجني وفي رقبتي إخوتي وكل ما يخصهم؟

من ذا الذي يقبل بذلك؟

تابع العم حديثه قائلاً:

ـ لكِ كل الحق يا ملك، ولكن ربما هو شخص صالح، فمن المؤكد أنه فكر مليًا قبل تواصله معي وطلبك للزواج.

ـ حسنًا يا عمي، سأفكر في الأمر وسأنتظر أن يفاتحني في الموضوع وأخبرك بردي حينها.

ـ حسنًا يا ابنتي، كل ما أريده هو سعادتك. في حفظ الله يا ابنتي.

أغلقت ملك المحادثة مع عمها وهي في حيرة من أمرها. هي تحبه حقًا، هو مختلف ومتفرّد، رجل يتسم بالشهامة والعطف والكرم، خاصة بعدما علمت من سناء أنه تكفل بكافة نفقات عزاء والدتها.

وكم تمناه حقًا زوجًا لها، ولكنها حاولت ألا تمني نفسها كثيرًا، فربما يتراجع بعد مجيء إخوتها للبلد الشقيق للإقامة معها. وقررت ملك الانتظار حتى يفاتحها في الأمر.

طال انتظارها كثيرًا، طوال شهر كامل وماجد يتعامل معها بطريقة عادية جدًا، لا يفاتحها في شيء ولا يطلب منها التحدث أو تناول الطعام كما كان يفعل من قبل، مما أثار ذلك حنقها وتيقنت أنه تراجع.

وأنها للمرة الثانية على التوالي تخدع في تقييم الأشخاص. وما كانت تشك للحظة بأنه مثل مهاب. كانت تظن أنه مختلف عن الآخرين. هذه المرة أحبته بنضوجها وحدسها الذي أكد لها أنه حب ناضج وليس مجرد إعجاب به.

حزنت ملك كثيرًا مقابلة تجاهله لها بتجاهل آخر من جهتها، وكانت تخرج ما بداخل قلبها لصديقتيها سناء وأمينة. وقررت

الابتعاد بقلبها والتعامل معه كرئيس عمل لا أكثر. وكانت تتعجب من دفاع كل من سناء وأمينة عنه وطلبهن لها بالانتظار. ربما هو يفكر في الأمر وأنه سيحادثها في أي وقت.

في إحدى زوايا المقهى الهادئ، جلست ملك أمام صديقتها أمينة تحاول أن تخفي رجفة أناملها وهي تحرك فنجان القهوة أمامها بلا تركيز.

قالت بصوت خافت:

ـ لا أعلم يا أمينة ماذا جرى، لقد تغير ماجد بشكل فجائي، أشعر بثقل في قلبي لا يحتمل. كنت أظنه مختلفًا... كنت أراه ملجأ بعد كل خيبة... فإذا به يشبه من سبقه في الصمت والتردد...

نظرت إليها أمينة بعينين مشفقتين وهمست:

ـ هل قال لكِ شيئًا؟ هل لمح لكِ بأي شعور؟

أجابتها ملك في حيرة:

ـ لم يقل، ولكنني شعرت، صمته كان أبلغ من أي كلام يقال. قال أحبك بنظرة عينه، بأفعاله، بإشارات يده، بحنانه.

لكنه لم يقلها لي صراحة، لم يفتح لي قلبه قط. كنت أقنع نفسي بأنه ربما يحتاج وقتًا كافيًا... لكنه لم يبادر.

رتبت أمينة على بدها وقالت:

ـ لكنه تكلم مع عمك، لا تنسين ذلك. ربما هو خائف من الرد.

أجابتها ملك في انكسار:

ـ هو تراجع بلا شك، وإلا فما هو سبب تغيره؟ صامت، وأنتِ كما تعلمين كم أكره الصمت حين يتحول إلى جفاء.

أجابتها أمينة:

ـ ولماذا لا تتحدثان وتخبريه بما تشعرين؟ عتاب صداقة، هذا ما أقصد.

سارعت ملك في الرد:

ـ لا لا، كنت أفضّل أن يدرك ذلك وحده. لا أريد أن أبدو كمن يتوسل مشاعر.

ظننته سيشعر، سيبادر، لكنه خذلني كما فعل غيره. ولو أنه وقف بجانبي وكان في قمة الشهامة والرجولة معي ومع إخوتي... كنت أريد وجوده في حياتي وبشدة لأن قلبي أراد أن يصدق وبشدة.

وأكملت أمينة قائلة:

ـ أعرف كم تألمتِ من قبل، لكن لا تجلدي نفسك يا ملك. بعض القلوب لا تملك الشجاعة. فربما هو خائف كما أقول لكِ. فماجد صديقي منذ أن جئت إلى هذا البلد ووقف بجانبي كثيرًا. لكنه لم يعاملني مثلك قط. أؤكد لكِ أنه يحبك وبشدة. أمهليه فقط بعض الوقت.

قالت ملك في استسلام:

ـ وأنا أيضًا أحبه وبشدة، لكنني تعبت من هذه التكهنات... تعبت من المراهنة على السراب...

أنهت كل من ملك وأمينة حديثهما وتفرقتا، كل منهما في اتجاه منزلها. وانغمست ملك في العمل أكثر وفي حياتها مع إخوتها.

وذات يوم، بينما تستعد ملك للخروج من الشركة، هاتفتها أمينة.

فأجابت ملك قائلة:

ـ مساء الخير يا أمينة.

ـ مساء الخير يا حبيبتي، أطلب منك ملاقاتي على الفور في المقهى الكبير خلف الشركة.

تعجبت ملك وردت في قلق:

ـ أأنتِ بخير يا أمينة؟ ماذا بكِ؟ ولماذا هناك بالذات؟

ـ من فضلك يا ملك، تعالي، فأنا حزينة للغاية وأود أن أقص عليكِ أمرًا ما. تعالي لملاقاتي هناك.

ـ سأسمعكِ بالتأكيد يا حبيبتي، ولكن لماذا لا نتحدث في المنزل؟

أجابتها أمينة على الفور:

ـ لا، لا أريدك على انفراد في الخارج.

ـ حسنًا يا حلوتي، سآتي إليكِ لا محالة.

اتجهت ملك على الفور إلى المقهى لتقابل أمينة.

وما إن وصلت حتى وجدت ممرًا تشريفًا من البالونات والورود من مدخل المقهى حتى داخله، فظنت أن هناك احتفالًا ما.

وما إن دخلت حتى قام العازفون بالعزف موسيقى العندليب الأسمر عبد الحليم حافظ "أنا لك على طول".

لمعت عيناها وهي ترى إخوتها حازم ومروة وأمينة وبعض الزملاء المقربين بالعمل متواجدين.

وسرعان ما انقسموا إلى صفين ليظهر ماجد في أبهى صورة.

لم تراه ملك هكذا من قبل.

اقترب منها وهو يجثو على ركبته وانحنى نصف انحنائه وفتح علبة من القطيفة الزرقاء الزاهية.

لتري أن بداخلها خاتمًا من الألماس...

ثم قال لها بنبرة هادئة يملؤها الحب:

ـ في الحقيقة، لا توجد كلمات أستطيع أن أعبر بها عن عشقي وولهي بكِ. فهل تقبلين أن تكوني نصفي الثاني؟

وأن تكملين عمركِ كله معي؟

صمتت ملك في دهشة...

أمسك بيديها المرتجفتين برفق وقال بصوت واثق:

ـ ملك، أعلم أنني تأخرت، وأعلم أن الصمت جرحك، ولكن قلبي لم يكن صامتًا أبدًا.

كنتِ تسكنين كل تفاصيله، منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها...

أجابته بصوت مرتبك وقد امتلأت عيناها بالدموع:

ـ أقدر مشاعرك وأبادلها بنفس المشاعر وأكثر يا ماجد، ولكنني في رقبتي إخوتي ومسؤوليات كثيرة وثقيلة ووقتي لن يكون لك بالكامل. أخاف أن تظلم معي، فأنت تستحق الأفضل...

قاطعها سريعًا:

ـ وأنا أقبلك بكامل مسؤولياتك، وسأكون لإخوتك أبا لا زوج أخت.

ولقد أخذت رأيهم قبلك وهم موافقون بالإجماع، وكل لحظة معي لن تندمين عليها، أعدك بذلك...

لقد ظننتِ أنني بحاجة للوقت لأتكلم، ولكنني كنت أبحث عن اللحظة المناسبة فقط. لم أتراجع ولو للحظة، كنت أرتب لأشياء كثيرة.

واليوم أردت أن أعبر لكِ عن مشاعري نحوك بطريقة عملية ووسط إخوتك وأصدقائك...

ابتسمت ملك ونظرت لإخوتها وأصدقائها، فأشاروا لها بالموافقة...

وسريعًا وضع ماجد الخاتم في إصبعها قائلاً:

ـ منذ هذه اللحظة لستِ فقط حبيبتي بل معشوقتي وأمي وأختي وعائلتي الصغيرة التي أحبها... أعدكِ أن لا تعرفي مع الحب خذلانًا ولا مع الأمان خوفًا...

دمعت عينا ملك وابتسمت رغم ارتباكها وقالت:

ـ أحبك يا ماجد.

أخرج ماجد ورقة من جيب ردائه السعودي وأعطاها لملك قائلاً:

ـ هذه هي هدية الزواج.

تعجبت ملك وسألته:

ـ وما تلك الورقة؟

أمسك ماجد بيديها في حنو وقال:

ـ لقد اشتريت شقة والدتك التي كانت بالإيجار من والد صديقتك سناء وكتبتها باسمك... أعِي جيدًا أن والدتك كانت تحبها كثيرًا وأن لكم فيها ذكريات جميلة.

سعدت ملك كثيرًا وخفق قلبها في سعادة تمنت أن تدوم للأبد.
اقتربت منه أكثر وقالت:

ـ بدأت حياتي الآن...

احتفل الأصدقاء والإخوة بخطوبة ملك وماجد، وعرفها ماجد على عائلته الصغيرة وباركوا خطبتهما وقدموا لهم الهدايا...

شعرت ملك بسعادة لم تشعر بها من قبل وهمست لماجد في أذنه:

ـ ذات خذلان... التقيتك وأحببتك بل عشقتك... أراد الله أن يعوضني بك وما أجمله من تعويض...

قبل ماجد يديها قبلة عشق وسط دعوات المحبين لهما بالخير والسعادة.

المُحتَوَيَاتْ

إهداء ٥
الفصل الأول ظل العائلة..... ٧
الفصل الثاني أوجاع الحياة.. السم بالعسل ٣١
الفصل الثالث الخذلان..... ٦٣
الفصل الرابع سفر وحياة..... ٧٩
الفصل الخامس صديق.. ولكن..... ٩٥
الفصل السادس حين خذلان التقيتك..... ١٠٧